

هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ

يُؤَدِّبُهُ اللَّهُ

تفسير نخبة سفر أيوب

بقلم إسكندر جديد

Call of Hope • Stuttgart • Germany

هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدَّبُهُ اللهُ (أيوب)

بقلم إسكندر جديد

All Rights Reserved

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٧١

الطبعة الثانية ١٩٩٥

الطبعة الثالثة ٢٠٠٣

Order Number: SPB 3100 ARA

German title: Siehe, gesegnet ist der Mann, den Gott züchtigt! (Hiob)

English title: Behold, Blessed Is the Man Whom God Rebukes! (Job)

Call of Hope • P.O. Box 10 08 27 D-70007 Stuttgart • Germany

<http://www.call-of-hope.com>

e-mail: ainfo@call-of-hope.com

محتويات السفر

أولاً: التوطئة وتحتوي على:

١ - المقدمة ١: ١ - ٥

٢ - المجلس السماوي ١: ٦ - ٢: ١٣

٣ - نوح أيوب ٣ : ١ - ٢٦

ثانياً: السلسلة الأولى من خطابات أصحاب أيوب وأجوبته لهم
وتحتوي على:

١ - خطاب أليفاز ٤: ١ - ٥ : ٢٧

٢ - جواب أيوب لأليفاز ٦: ١ - ٧ : ٢١

٣ - خطاب بلدد ٨: ١ - ٢٢

٤ - جواب أيوب لبلدد ٩: ١ - ١٠: ٢٢

٥ - خطاب صوفر ١١: ١ - ٢٠

٦ - جواب أيوب لصوفر ١٢: ١ - ١٤: ٢٢

ثالثاً: السلسلة الثانية من خطابات أصحاب أيوب وأجوبته لهم
وتحتوي على:

١ - خطاب أليفاز ١٥: ١ - ٣٥

٢ - جواب أيوب لأليفاز ١٦: ١ - ١٧: ٢٢

٣ - خطاب بلدد ١٨ : ١ - ٢١

٤ - جواب أيوب ١٩ : ١ - ٢٩

٥ - خطاب صوفر ٢٠ : ١ - ٢٩

٦ - جواب أيوب ٢١ : ١ - ٣٤

رابعاً: السلسلة الثالثة من خطابات أصحاب أيوب وأجوبته لهم
وتحتوي على:

١ - خطاب أليفاز ٢٢ : ١ - ٣٠

٢ - جواب أيوب ٢٣ : ١ - ٢٤ : ٢٥

٣ - خطاب بلدد ٢٥ : ١ - ١٤

٤ - جواب أيوب ٢٦ : ١ - ٢٧ : ٢٣

خامساً: قصيدة في الحكمة ٢٨ : ١ - ٢٨

سادساً: أيوب يراجع تاريخ حياته ٢٩ : ١ - ٣١ : ٤٠

سابعاً: خطابات أليهو ٣٢ : ١ - ٣٧ : ٢٤

ثامناً: الرب يتكلم ٣٨ : ١ - ٤١ : ٣٤

تاسعاً: خضوع أيوب ٤٢ : ١ - ٦

عاشراً: خاتمة ٤٢ : ٧ - ١٧

تمهيد لسفر أيوب

ليست لدينا معلومات واضحة، عن مصدر سفر أيوب . ولكن بعض الآراء، البالغة القدم، ترجح أن موسى كتبه، حين كان يرعى قطعان حميه يثرون بالقرب من سيناء . وحجة أصحاب هذا الرأي، أنه يستحيل على كاتب عبراني، قبل موسى، أن يعبر بهذا الأسلوب الكامل، عن بعض الأنظمة التشريعية المشابهة للأنظمة الموسوية، دون تناقض .

ولكن يوجد سببان، يمنعاننا من الانضمام إلى أصحاب هذا الرأي: الأول غياب الاصطلاحات، التي تميّزت بها أسفار موسى الخمسة، عن جميع كتب الأدب العبري . والثاني، احتواء نصوص سفر أيوب على أفكار فلسفية، فيها شيء من الاعتراض على عدالة السماء، بالنسبة للبلايا التي حلّت بأيوب .

أمّا الأحداث التي وردت في السفر، فقد تضاربت الأفكار حولها . فمن قائل أنها أحداث تاريخية وقعت فعلاً، وقائل آخر يعتقد بأنها قصة مجازية قصد بها معالجة موضوع الألم . حتى أن بعض الربانيين، ذهب إلى القول بأن أيوب لم يكن شخصاً تاريخياً، وإنما بطل قصة رمزية .

بيد أن المصلح مارتن لوثر عارض هذا الفكر، فقال إنه بالفعل،
وُجد رجل، اسمه أيوب . وهو إنسان صالح أصابته نكبات قاسية
احتملها بصبر . فصار مثلاً لجميع المصابين في كل جيل وعصر .
ثمّ قام شاعر لم يُعرف اسمه، ولا زمانه، وكتب قصّته بأسلوب
شعري جميل .

وعلى أيّ حال، يمكننا القول بالتأكيد إنّ الكاتب، كان يهودياً
مخلصاً، أبى أن يذعن للاعتقاد الذي كان شائعاً بين العامة،
والذي يربط بين الخطية والألم . وبالإجماع نرى أنّ السفر المذكور
مدهش، لعدم كفاءة الأفهام البشرية لإدراك مشكلة الألم .

تبدأ قصة أيوب بفصل تمهيدي، فيه سرد للنكبات القاسية
التي حلّت بأيوب، ابتداءً من خسارة ممتلكاته، فموت بنيه وبناته،
ثمّ ضرب جسمه بالقروح . فحزن واكتأب، وجلس في وسط
الرماد . فجاء أصحابه أليفاز التّيماني وبلدد الشوحي وصوفر
التّعماتي ومعهم أليهو بن برخئيل، ليرثوا له ويعزّوه في محنته . لكن
حين بدأ أيوب خطابه بسب يومه، واستذنب القضاء، دخل
الأصحاب معه في محاورات جدلية، عبّروا فيها عن الاعتقادات
الشائعة في زمنهم . والتي مفادها أنّ المصائب التي تقع على
الإنسان، إنّما هي نتيجة للخطايا التي يقترفها ضد الله .

أمّا أيوب فرفض هذه الآراء وقدّها بحدّة، منوّهاً بتقواها واستقامة قلبه، ومؤكداً أنّه لم يقترف ذنباً، يستحق عقاباً كهذا. وليس هذا فقط، بل أيضاً حين نقرأ الأصحاح العاشر من السفر، نرى أنّ الجرأة بلغت بأيوب، أن يطلب إلى الله ذاته، أن يعلن له ما هي الذنوب، التي يتّهمه بها، والتي جعلها سبباً لقصاصه. فحسب الأصحاب هذا الكلام تجديفاً، فراحوا يقدمون له مواعظهم المليئة بالوعيد، إلى أن ضاق صدره بكلامهم.

حينئذ تقدّم إليه الشاب، فبيّن أنّ الآلام، قد تكون تأديباً غايتها خير المؤدّب بها. ثم اعترض على أيوب لأنّه حسب نفسه أبرّ من الله، وعلى أصحابه لضعف حججهم. وهكذا أصلح غَلَطَ الفريقين، وبرّر الله في كلّ طرفه مع الإنسان، وشدّد على وجوب الخضوع لله، والتسليم بصلاحه.

صحيح أنّ مشكلة الألم، لم تحل، لا بكلام أيوب، ولا بكلام أصحابه الثلاثة، ولا بكلام أليهو. لأنّ الأفهام البشرية أعجز من أن تفهم كل طرق الرب. فإننا نعرف من الجهة الواحدة، أنّ الله عادل وقادر على كل شيء، وأنّه يحب الإنسان. ونعرف من الجهة الأخرى أنّ الخطية في العالم، وأنّ شعب الله يتألّمون، ويضطهدون، ويظلمون. ولا نقدر، أن نوفق بين الأمرين. هنا يبدأ عمل

الإيمان بصلاح الله، الذي يدبر كل شيء حسناً.
إنَّ المشاكل التي يثيرها سفر أيوب، وأنات التوجع التي
سمعت من خلال فصوله، تجعل السفر كغيره من أسفار العهد
القديم يتطلّع إلى يسوع رجل الأوجاع ومختبر الحزن، لكي يجد
علاجاً عنده لكل هذه الأمور. والواقع أنَّ سفر أيوب يأخذ مكانه
في الشهادة على ممر العصور، إنَّ في القلب البشري فراغاً، لا
يستطيع أحد أن يملأه إلا يسوع المسيح وحده.

الأصاحح الأول ١ كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عُوصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ . وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ . ٢ وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ . ٣ وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلافٍ مِنَ الْغَنَمِ وَثَلَاثَةَ آلافٍ جَمَلٍ وَخَمْسَ مِئَةِ زَوْجٍ بَقَرٍ وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ ، وَخَدَمَهُ كَثِيرِينَ جِدًّا . فَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ . ٤ وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَوَلِيمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ ، وَيُرْسِلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخْوَاتِهِمُ الثَّلَاثَ لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ . ٥ وَكَانَ لَمَّا دَارَتْ أَيَّامُ الْوَلِيمَةِ أَنَّ أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَّسَهُمْ ، وَبَكَرَ فِي الْعَدِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلِّهِمْ ، لِأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ : «رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ» . هَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الْأَيَّامِ .

٦ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ . ٧ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ : «مَنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ : «مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ وَمِنَ التَّمَشِيِّ فِيهَا» . ٨ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ : «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ . رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ» . ٩ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ : «هَلْ مَجَانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ؟ ١٠ أَلَيْسَ أَنَّكَ سَجَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟

بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الْأَرْضِ! ١١ وَلَكِنْ أَبْسَطُ
يَدَكَ الْآنَ وَمَسَّ كُلُّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». ١٢ قَالَ
الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيْهِ لَا تَمُدُّ
يَدَكَ». ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ.

كانت عوص شمالي أدوم وشرقي سوريا. وهي أرض واسعة
وخصبة، وفيها ينابيع كثيرة. ففي هذه البقعة من الأرض كان
يسكن أيوب. وقد ظهرت سجاياه في هالة من نور، كرجل كامل
ومستقيم وحائد عن صنع الشر.

لقد شهد الله له بالتقوى وكمال الخلق، واستقامة القلب
وطهارة السيرة. وشهد له المقربون منه بالفضل، حتى الشيطان
المشتكي على مختاري الله، لم يستطع إنكار الفضائل التي كان
أيوب يتحلّى بها.

إلا أن الكمال الذي وُصف به أيوب، لا يعني العصمة من
الوقوع في الزلل، أو الخلو من الخطية. وأيوب نفسه اعترف بذلك
حين بدأ توبته بالقول: «أَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ» (أيوب ٤٢: ٦).
ولكن من يدرس سيرة أيوب، من خلال الكتاب المقدس، يجد أن
رجل الله أيوب، لم يرتكب الخطايا الجسيمة، التي نسبها له أصحابه.
في الحقيقة أنه ليس من معصوم عن الخطيئة، وكلمة الله تقول:

«الْجَمِيعُ أَخْطَاوَا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ» (رومية ٣: ٢٣). وقد أقرّ إشعياء النبي بأنّ الأنبياء أنفسهم وقعوا في الخطية، إذ يقول: «كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ» (إشعياء ٥٣: ٦). ونقرأ أيضاً في سفر المزامير هذه العبارات التي تؤكد أنّ الجميع أخطأوا: «الرَّبُّ مِنْ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ، لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللَّهِ؟ أَلْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحًا، لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ» (مزمو ١٤: ٢ و ٣).

ولكنّ هذه الأقوال النبوية، لا تعني أنّ الخاطئ محتوم عليه بأن يهلك بسبب خطاياها. فقد دبر الله بنعمته خلاصاً للإنسان، وذلك بالإيمان بيسوع المسيح، الذي قدّمه الله كفارة عن الخطايا، وفقاً لقول الإنجيل: «لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (يوحنا ٣: ١٦). فتعال إلى المسيح واقبله مخلصاً، تنل باسمه غفران الخطايا. أقبل إليه ولا تخف من أن تُرفض، لأنه قال: «مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا» (يوحنا ٦: ٣٧).

كان أيوب ثرياً جداً، وحائزاً مركزاً مرموقاً إذ يصفه الكتاب المقدس بأنّه أعظم من كل بني المشرق. ولكنّ عظمتها لم تكن من ثرائه الواسع، بل من تقواه واستقامة قلبه. والمعنى أنّ هذين

الأميرين اللذين قامت عليهما عظمة أيوب، يرتبط أحدهما بالآخر. وهما عطية من الله ومنهما تنبع الأعمال الصالحة. هكذا قال الرسول بولس: «نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللَّهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أفسس ٢: ١٠) وقد عُرف بالاختبار أنَّ الحياة المفيدة، هي المؤسسة على التقوى والإيمان بالله.

يبدو أنَّ استقامة أيوب أثارت غيظ الشيطان، عدو الخير والصلاح. فجاء ليغمز من تقواه أمام الرب قائلاً: إِنَّ مَطْمَحَ أَيُوبِ الْخَيْرَاتِ الْمَادِيَةِ، وَلَيْسَتْ تَقْوَاهُ إِلَّا وَسِيلَةٌ لِنَيْلِ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ. مَدَّ يَدَكَ وَمَسَّ مَا وَهَبْتَهُ مِنْ ثَرَاءٍ وَسَعَةٍ حَالٍ، تَخْتَفِي التَّقْوَى، وَيَجِدُّ عَلَيْكَ فِي وَجْهِكَ.

فهل أنت مع الله، لأنه يسر أعمالك؟ أم أنك تعبه لكي يفتح أمامك السُّبُلَ إلى الإثراء؟

إنَّ العملَ لأجل كسب الثروة أمر مشروع، والله لا يمنع أحداً من اقتناء المال. وإنما يحذّر من الوقوع في محبة المال التي هي «أضلُّ لِكُلِّ الشُّرُورِ» (اتيموثاوس ٦: ١٠). ولهذا قال إمام المرنميين: «إِنَّ زَادَ الْغِنَى فَلَا تَضَعُوا عَلَيْهِ قَلْبًا» (مزمو ٦٢: ١٠)، وقال يسوع المسيح: «تَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لِأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ

حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ» (لوقا ١٢ : ١٥) .

الصلاة

أيها الأب ربّ السماء، نشكرك لأجل كلمة الحياة التي هي سراج لأرجلنا ونور لسبيلنا. نعتزف أمامك يا سيّدنا الرب بأن لا برّ لنا، وأن أعمال برّنا كثوب عدّة. ولكن نشكرك لأجل يسوع الذي فداننا بموته وقام ليهبنا البر وأتاح لنا فرصة القدوم إليك، قديسين وبلا لوم في المحبة. نسألك أن تبارك بلادنا، وتتمي ثمار البر في قلوب أبنائها. آمين .

السؤال

- ١ - ما هي الصفات التي وُصف بها رجل الله أيوب؟
- ٢ - ما هي الحجة التي اعتمدها الشيطان في التقليل من فضل أيوب؟

١ : ١٣ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الْأَكْبَرِ ١٤ أَنْ رَسُولًا جَاءَ إِلَى أَيُّوبَ وَقَالَ: «الْبَقْرُ كَانَتْ تَحْرُثُ وَالْأَتْنُ تَرْعَى بِجَانِبِهَا، ١٥ فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبِيُّونَ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحَدِي لِأَخْبِرِكَ». ١٦ وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرٌ وَقَالَ: «نَارُ اللَّهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْ الْعَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحَدِي لِأَخْبِرِكَ». ١٧ وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرٌ وَقَالَ: «الْكِلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلَاثَ

فَرَقَ فَهَجَمُوا عَلَى الْجَمَالِ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْعِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ،
 وَنَجَوْتُ أَنَا وَحَدِي لِأَخِيرِكَ» . ١٨ وَيَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ
 وَقَالَ: «بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمْ
 الْأَكْبَرِ، ١٩ وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عِبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا
 الْبَيْتِ الْأَرْبَعِ، فَسَقَطَ عَلَى الْعِلْمَانَ فَمَاتُوا، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحَدِي
 لِأَخِيرِكَ» . ٢٠ فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ وَخَرَّ عَلَى
 الْأَرْضِ وَسَجَدَ ٢١ وَقَالَ: «عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَانًا
 أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ
 مُبَارَكًا» . ٢٢ فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ لِلَّهِ جَهَالَةً.

في العدد ١٢، رأينا أن الله قد قبل تحدي عدو النفوس، في
 امتحان تقيّه أيوب. إلا أنه اشترط أن لا يتعدى نطاق الامتحان
 الممتلكات المادية. وقد سمح الرب الإله، أن تقع أربع ضربات
 مدوّخة على أيوب.

١ - فيما كان فلاحو أيوب يحرثون حقوله الواسعة والأتن ترعى
 بالقرب منهم هاجمتهم عصابة مسلّحة من قبيلة السبئيين.
 فأبادوا الفلاحين والرعاة، واستولوا على الأبقار والأتن، ولم
 ينج أحد سوى الغلام الذي نقل الخبر إلى سيده.

٢ - رأى الشيطان بدهائه أن لا يترك هوادة لأيوب، لكي يرتاح

ويتصبر على مصابه الأول. فأنزل به ضربة أخرى أقسى من الأولى، وأشدّ وقعاً في نفسه. فما أن انتهى الغلام الناجي من السببَيْن من سرد وقائع ما حدث للفلاحين والرعاة، حتى جاء غلام آخر وقال: يا سيدي، إنَّ ناراً سقطت من السماء والتهمت قطعان الغنم والرعاة، ولم يبقَ سواي، فأتيت لأنقل إليك الخبر. لقد ظهر لأيوب أنَّ هذه الضربة أتته من الله لا من الناس، وأنها أبادت الغنم، التي منها كان أيوب يقدم الذبائح الكفارية والمحرقات. وقد رأينا في العدد ٥، أنَّ أيوب، قدس أبناءه وأصعد محرقات على عددهم كلهم.

٣ - بعد لحظات جاء غلام ثالث، ونقل إلى سيده خبراً مفاده أنَّ ثلاث عصابات من الكلدانيين، باغتوا رعاة الجمال، وبعد معركة عنيفة، سقط غلمانهم بحد السيف، واستولى المهاجمون على الجمال.

إنَّ الأرزاء الثلاثة التي تعاقبت على أيوب، وأصابته بخسائر فادحة، لم تستطع ملاحظة صبره وطول أناته، أو تحمله على اليأس أو التذمّر. ولكن ما عجزت عنه المصائب الأولى، فهذا حقيقته الفجيعة الرابعة، وهي موت أبنائه وبناته.

٤ - ففيما هم في بيت أخيهم الأكبر، حول مقصف كبير يأكلون

ويشربون خمراً، هبّت عاصفة هوجاء وصدمت البيت، فسقط على من فيه، فماتوا. ولكنّ هذه الفاجعة الأليمة إن كانت قد آلمته، فهي لم تستطع إفناء إيمانه بالله. صحيح أن أيوب مزّق جبّته حزناً، وجزّ شعر رأسه اكتئاباً. ولكن في غمرة آلامه واكتئابه، لم ينسَ ذكر الله. فقد خرّ إلى الأرض وسجد في خضوع تام لمشية الله.

كان الشيطان منتظراً أن يقف أيوب ويجدّف على الله، الذي سمح بهذه الويلات أن تقع عليه. ولكنّ رجل الله لم تجرّه خسارة الأملاك والأبناء إلى فقدان الإيمان بصلاح الله. لقد غيّر الحزن الشديد منظره، إلا أنّه لم يسلبه التعزية في الله. وفي سجوده تعبیر عن أروع مثال في التسليم لله، والخضوع لإرادته في سبيل الإيمان. لم يكن أيوب كالكثيرين الذين يفخرون بما عندهم من ثروات أو بنين، كأنّهم حصّلوها بقوتهم وحكمتهم. بل كان يؤمن بأنّ الله هو المعطي، وأنّ كل شيء له، ويحق له أن يأخذه حين يشاء. وإننا لتعلم من هذه الحوادث أربعة أمور مفيدة:

١ - لا يتزعزع الإيمان الحقيقي بزوال الخيرات الزمنية عن المؤمن، لأنّ الإيمان ليس مؤسساً عليها.

٢ - لا تحدث المصائب اتفاقاً. فهي وإن كانت من الناس أو من

قوى الطبيعة، لا تحدث بدون سماح من الله .

٣ - يجب أن نعتبر مقتنياتنا لله، وما نحن سوى وكلاء عليها، وله الحق في أن يتصرف بها .

٤ - لا تستطيع أفهامنا إدراك سرائر الله، أو تلمّ بكلّ ما يرتبه لنا من تأديبات نحن في حاجة إليها . وإنّه لجدير بنا أن نؤمن «بأنّ كلّ الأشياءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ» (رومية ٨: ٢٨) .

الصلاة

نشكرك يا إلهنا الصالح لأجل الإيمان المسلمّ مرّةً للقديسين . هذا الإيمان الذي به نستطيع الارتفاع فوق المصائب أيّاً كان نوعها . أعطنا مع الإيمان روح الطاعة والتسليم لإرادتك الصالحة المرضية الكاملة . ازرع هذا الإيمان في قلوبنا وقلوب مواطنينا، وحوّله إلى ثقة كاملة في حكمتك التي تعمل لأجل خيرنا . آمين .

السؤال

٣ - ما هي المصائب التي سمح الله أن تقع على أيوب؟

الأصحاح الثاني ١ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسْطِهِمْ لِيَمْتُلَ أَمَامَ الرَّبِّ. ٢ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: «مِنْ

٣ . فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْأَرْضِ! رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الْآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ، وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لِأَبْتَلَعَهُ بِلَا سَبَبٍ». ٤
 فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: «جِلْدٌ بِجِلْدٍ، وَكُلُّ مَا لِلْإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لِأَجْلِ نَفْسِهِ. ٥ وَلَكِنْ أَبْسِطِ الْآنَ يَدَكَ وَمَسِّ عَظْمَهُ وَحَمَاهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». ٦ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا هُوَ فِي يَدِكَ وَلَكِنْ أَحْفَظْ نَفْسَهُ». ٧ فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ. ٨ فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَقْفَةً لِيَحْتَكَّ بِهَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسْطِ الرَّمَادِ. ٩ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: «أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ! جَدَّفْ عَلَى اللَّهِ وَمُتْ!». ١٠ فَقَالَ لَهَا: «تَتَكَلَّمِينَ كَلَامًا كَأَحَدَى الْجَاهِلَاتِ! الْأَخِيرَ نَقَبَلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالشَّرَّ لَا نَقَبَلُ؟» فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَقَتِهِ .

في التأمل الماضي، رأينا أن رجل الله تقبل النكبات بإيمان صابر محتمل، دون أن ينسب جهالة لله. وهذا التصرف أعاظ الشيطان جداً، ففكر في مكيدة أخرى أكثر دهاءً. فزعم أمام الرب أن الامتحان الذي جازه أيوب، لم يكن بالقسوة الكافية. وأتهمه بقساوة القلب إلى حد عدم التأثر لمصاب الآخرين. وفي

تعبير آخر أن الغاوي، ادّعى بأنّ المصائب السابقة، لم تمس سوى حياة الآخرين. أمّا جلد أيوب فلم يلحق به أيّ أذى. فإذا ما وصل الأذى إلى جسده، يتغيّر الأمر ويسقط من كماله. فقبل الله التحديّ مرة أخرى، وسمح بأن يمتحن تقيّه في جلده، دون المس بنفسه.

نعرف بالاختبار العلاقة بين الصحة الجسدية والإيمان بالله. فكثيرون هم الذين متى ضعفوا جسدياً، ضعف إيمانهم. ولكن هذه الحال لم تكن حال أيوب، ولا حال أيّ من مختاري الله. صحيح أنّ الرب أطال سلسلة القيد للشيطان، ولكن حياة أيوب بقيت في يد الرب، لا في يد الشيطان.

وأنت أيّها المؤمن لا تخف، لأنّ نفسك في يد الله، ولا يستطيع الشيطان أن يمسه. هذه الحقيقة أدركها الرسول يوحنا، فكتب لنا بمداد الاختبار: «أَلْمَوْلُودُ مِنْ أَللّهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشَّرِيرُ لَا يَمْسُهُ» (يوحنا الأولى ٥: ١٨). إنه يحفظها بقوة الله التي جدّتها وتعهّدها كل يوم بالتقديس.

لقد ظنّ الشيطان، أنّ أيوب صار مكشوفاً بالنسبة له. فضرب الجسد بالقروح الرديئة، من شأنه أن يبعد الأصدقاء والمريدين عن المصاب، فيبتلي بالعزلة، حيث يضعف معنوياً. وقد تسوّّل له

نفسه اتهام الله بالقساوة، وبالتخلى عن المنكوبين، وغير ذلك من الأمور التي تضعف الإنسان روحياً.

خصوصاً وأن القروح التي ضرب بها أيوب، كانت نوعاً من الدمامل التي تنتشر في الجسم، وتسبب للمصاب بها حكة مستمرة. وفي الغالب تحدث نتوءاً في الوجه ويتساقط شعر الأذنان وتنتهي إلى تآكل أعضاء الوجه كالعينين والأنف. وكانت القروح أحياناً تتشقق، ويخرج منها القيح، وتنبعث منها روائح كريهة، فيزعج المصاب ومن حوله.

حين ابتلي أيوب بهذا المرض الحبيث، جلس في المزبلة، حيث يطرح الرماد والنفائيات. فجاءت امرأته. وأثارته على الله. لأن فقدان الأولاد والثروة وصحة الزوج، حطمت إيمانها. فطلبت إلى زوجها، أن يجدف على الله. ولعله بسبب هذا الموقف، نعتها القديس أغسطينوس بأنها معينة الشيطان. وبعضهم يشبهونها بحواء، لأنها جرّبت رجلها.

ولكن أيوب رفض أفكارها واتهمها بالجهالة، ولم يخطئ بشفتيه، كما توهم الشيطان بأنه سيفعل. بل لعله صلى إلى الرب إله قائلاً بعمق: لتكن مشيئتك. ومن قوله: «أَلْخَيْرَ نَقَبَلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالشَّرَّ لَا نَقَبَلُ؟» يبدو أن أيوب اعتقد أن الله أدبه ولم يظلمه، كما

توهّمت امرأته .

وأنت هل وجدت في تصرّف أيوب، مثلاً يُحتذى في الصبر واحتمال الضيقات؟ وهل وجدت في تصرّف امرأته أمراً لا يليق حتى بغير الأتقياء؟! نحن جميعاً ضعفاء، ولكن حين نعتزف بالضعف ونطلب القوة من الله يمنحها لنا. ونحن جميعاً جهلاء. ولعلّ بعضنا أكثر جهالةً من امرأة أيوب. ولكن الجهل ليس محتوماً علينا. ويمكننا التخلّص منه، بالتوجّه إلى الله بطلب الحكمة. هكذا قال الرسول يعقوب: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعَوِّزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنْ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بَسَخَاءٍ وَلَا يُعِيرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ» (يعقوب ١: ٥).

الصلاة

يا إلهنا الحي، إننا نشكرك ونعظم اسمك المبارك، لأجل نعمتك المخلّصة، التي علّمتنا أن ننكر الفجور، الذي في العالم بالشهوة، امنحنا القوة لكي نرفض أفكار الشيطان الدنسة. بارك شعوب العالم ببركة المعرفة الحقيقية، لكي نمجد اسمك في كل شيء. آمين.

السؤال

٤ - بماذا أُصيب أيوب، وكيف كان موقفه من المصاب الذي وقع عليه شخصياً؟

١١: ٢ فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ أَيُّوبَ الثَّلَاثَةَ بِكُلِّ الشَّرِّ الَّذِي آتَى عَلَيْهِ، جَاءُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ: أَلَيْفَازُ التَّيْمَانِي وَيَلْدَدُ الشُّوْحِيُّ وَصُوفَرُ النَّعْمَانِيُّ، وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَأْتُوا لِيَرْتُوا لَهُ وَيَعَزُّوهُ. ١٢ وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا، وَمَزَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ وَذَرُّوا تَرَاباً فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ نَحْوَ السَّمَاءِ، ١٣ وَقَعَدُوا مَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ، وَلَمْ يَكَلِّمَهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنْ كَاتَبَتْهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جَدًّا.

مضى زمان بين الحوادث التي ذكرت في هلة الأصحاب وزيارة أصحاب أيوب. لأنهم أتوا من بعيد، ووصول خبر مأساة أيوب إليهم كان يفتقر إلى وقت. وسفرهم أيضاً، يحتاج إلى وقت. وقيل إن أصحاب أيوب جاؤوا ليرتوا له ويعزّوه. فلما وجدوا رجلاً مشوّه الخلقه، مضطجعاً على المزبلة، لم يعرفوه أولاً. ولكن لما عرفوه، بكوا ومزّقوا ثيابهم، وذرّوا تراباً على رؤوسهم إظهاراً لحزنهم. ومن شدة حزنهم على بلوى صاحبهم، جلسوا سبعة أيامٍ وسبع ليالٍ، دون أن يتفوّه أحدهم بكلمة. ويقول بعض المفسرين إن صمتهم، نجم عن تحيّرهم من جهة سبب محنته، وعن ظنّهم بأنّ ذنباً خفياً، كان يثقل ضميره.

الأصاحح الثالث ١ بَعْدَ هَذَا فَتَحَ أَيُّوبُ فَاهُ وَسَبَّ يَوْمَهُ ٢ وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ: ٣ «لَيْتَهُ هَلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ، وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ قَدْ حُبِلَ بِرَجُلٍ! ٤ لِيَكُنْ ذَلِكَ الْيَوْمُ ظَلَامًا. لَا يَعْتَنِي بِهِ اللَّهُ مِنْ فَوْقُ وَلَا يُشْرِقُ عَلَيْهِ نَهَارٌ. ٥ لِيَمْلِكُهُ الظَّلَامُ وَظِلُّ الْمَوْتِ. لِيَحِلَّ عَلَيْهِ سَحَابٌ. لِتُرْعِبُهُ ظُلَمَاتُ النَّهَارِ. ٦ أَمَا ذَلِكَ اللَّيْلُ فَلَيْمَسِكُهُ الدُّجَى، وَلَا يَفْرَحَ بَيْنَ أَيَّامِ السَّنَةِ، وَلَا يَدْخُلَنَّ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ. ٧ هُوَذَا ذَلِكَ اللَّيْلُ لِيَكُنْ عَاقِرًا! لَا يُسْمَعُ فِيهِ هُتَافٌ. ٨ لِيَلْعَنَهُ لِأَعْنُو الْيَوْمِ الْمُسْتَعِدُّونَ لِإِقَاطِ التَّنِينِ. ٩ لِتُظْلِمَ نُجُومَ عِشَائِهِ. لِيَنْتَظِرَ النُّورَ وَلَا يَكُنْ، وَلَا يَرِ هُدْبَ الصُّبْحِ، ١٠ لِأَنَّهُ لَمْ يُغْلِقْ أَبْوَابَ بَطْنِ أُمِّي وَلَمْ يَسْتِرِ الشَّقَاوَةَ عَنْ عَيْنِي. ١١ لَمْ لَمْ أَمْتُ مِنْ الرَّحِمِ؟ عِنْدَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْبَطْنِ لَمْ أَسْلِمِ الرُّوحَ؟ ١٢ لِمَاذَا أَعَانْتَنِي الرُّكْبُ، وَلَمْ التُّدِي حَتَّى أَرْضِعْ؟ ١٣ لِأَنِّي قَدْ كُنْتُ الْآنَ مُضْطَجِعًا سَاكِنًا. حِينَئِذٍ كُنْتُ نِمْتُ مُسْتَرِيحًا ١٤ مَعَ مَلُوكٍ وَمُشِيرِي الْأَرْضِ الَّذِينَ بَنُوا أَهْرَامًا لِأَنْفُسِهِمْ، ١٥ أَوْ مَعَ رُؤَسَاءِ هُمْ ذَهَبُ الْمَالِيِّينَ بِيُوتِهِمْ فِضَّةً، ١٦ أَوْ كَسَقَطِ مَطْمُورٍ فَلَمْ أَكُنْ، كَأَجِنَّةٍ لَمْ يَرَوْا نُورًا. ١٧ هُنَاكَ يَكْفُ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الشَّعْبِ وَهُنَاكَ يَسْتَرِيحُ الْمُتَعَبُونَ.

أجل لقد صمت الأصحاب، ولكنَّ أيوب كان غير قادر على

السكوت . كان قد احتمل مصائبه بصمت إلى ذلك الوقت، إلا أنه الآن انفجر مرجل الكرب الكامن في نفسه بكلمات قوية وشديدة . وكما يقولون: إنَّ المصيبة هي تجربة القداسة . وإنَّه بقدر متانة القداسة وقدرتها على الاحتمال، تزداد المصيبة .

لسنا نعلم إن كان الأصحاب، قد رفعوا قلوبهم بصلوات من أجل صديقهم أيوب، طالبين إلى الرب الإله أن يمنحهم النعمة في عينيه، حين يبدأون الكلام في حضرته . ولكننا نعلم أنَّ الشيطان قد تدخل لإثارة أيوب وانفجار غيظه في حضرته، ففتح فاه ولعن يوم مولده، وتمنّى لو أنَّ الله لم يسمح لصباح ذلك اليوم أن ينبلج، وأنَّ الشمس لا تشرق عليه بأنوارها، وأن لا يدخل في عداد أيام السنة . وتمنّى أن يلعنه السحرة والعرّافون، ليصبح يوماً مشؤوماً، لا يعمل فيه أحد .

قد يجد بعضهم عذراً لأيوب في ثورته، اعتقاداً بأنه لم يفعل ما يستوجب وقوع المصائب العظيمة عليه . وإنَّ من كان في حالته بلا أمل في حياته، لحري به أن يثور . لأن كل أفراحه السابقة ما كانت لتستطيع ذكرياتها أن تخفف من وطأة الآلام الحاضرة التي يعانيتها . ولكن مهما كانت نكباته قاسية، فليس في وسعنا أن نبرِّره في أقواله .

لأنه ليس الغضب، ولا مرارة النفس، ولا الحزن والاكتئاب، ولا لعن الأيام، ولا وسيلة أخرى تستطيع أن تغير مجرى الحوادث، وخصوصاً بعد ما حدثت. والحكيم الحكيم، هو من يلقي على الربّ همّه، ويتكل عليه في كل شيء.

ويمضي أيوب في ثورته على الوضع، الذي صار إليه. فترتعش نفسه بألم مبرح، ولا يلبث أن تستبد به حمى القلق. فيقارن آلامه مع راحة الموت فتتوق نفسه إلى الانطلاق.

كان الاعتقاد الشائع من حيث الحياة المستقبلية، أنها عبارة عن مجرد وجود لا لذة فيها ولا صفة لها، تجري على وتيرة واحدة موحشة، لا قوّة لها ولا جمال. لأنها تصرف بين الظلال الأخرى، تخفق فيها لهب الحياة خفوقاً ضئيلاً، وهي بمثابة النجاة من الموت. هناك الإنسان يتساوى هو والملوك والأمراء، الذين كانوا جبابرة على الأرض، وهم الآن في راحة، حيث اختلاف الرتب. لأن العبد يتحرر وينقطع عن العمل، ولأن المنافقين يكفون عن الشغب، ويستريح المتعبون. ويظن البعض أنّ أيوب كان يرتاح للفكر بأنّ الموت يجلب الراحة، وينهي جنون الشوق إلى الحياة وهو كثرة الأيام. ولكن أقوال أيوب ترجح بأنه خلال محنته صار عنده شوق من نوع أشواق بولس حين قال: «لِي أَشْتَهَاءُ أَنْ

أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ . ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا» (فيلبي ١: ٢٣) .

الواقع أنَّ الموت بالنسبة لمختاري الله، هو الطريق إلى الراحة في جواره . هناك يستريحون من أتعابهم . ولعل راحة المؤمن التي تعقب الموت هي التي جعلت القديس فرنسيس الأسيزي يخاطب الموت قائلاً: «أنت أهما الموت الأحسن والألطف»، مما يدل على أنَّ الأسيزي، كان يعتبر الموت كخليقة من خلائق إلهه ومليكه، يستطيع أن يمجد الله كالخلائق الأخرى .

يمكنك أن تشارك مختاري الله في عدم خوفهم من الموت، إن كنت تتصالح مع الله في المسيح يسوع . لأنَّ الفادي يحررك من عبودية الخوف من الموت .

الصلاة

اللهم نشكرك من كل قلوبنا، لأنَّ المسيح كسر شوكة الموت . وجعل القبر نقطة انطلاق إلى الخلود في عالم الله . أعطنا جميعاً أن نكون مستعدين لذلك اليوم الذي فيه ننتقل من عالم الفناء إلى عالم البقاء . آمين .

السؤال

٥ - ماذا قال أيوب في ثورته، وما تمنى؟

٣ : ١٨ الْأَشْرَى يَطْمَئِنُّونَ جَمِيعاً . لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ الْمَسْحَرِ . ١٩

الصَّغِيرُ كَمَا الْكَبِيرُ هُنَاكَ، وَالْعَبْدُ حُرٌّ مِنْ سَيِّدِهِ ٢٠. «لَمْ يُعْطَى لَشَقِي نُورٌ، وَحَيَاةٌ لِمُرِّي النَّفْسِ؟ ٢١ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ أَمُوتَ وَلاَ يَسَ هُوَ وَيَخْفَرُونَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنَ الْكُنُوزِ، ٢٢ الْمُسْرُورِينَ إِلَى أَنْ يَبْتَهَجُوا، الْفَرَحِينَ عِنْدَمَا يَجِدُونَ قَبْرًا. ٢٣ لِرَجُلٍ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَقَدْ سَيَّجَ اللَّهُ حَوْلَهُ. ٢٤ لِأَنَّهُ مِثْلَ خُبْزِي يَأْتِي أُنْيِي وَمِثْلَ الْمِيَاهِ تَنْسَكِبُ زَفْرَتِي، ٢٥ لِأَنِّي أَرْتَعَابًا أَرْتَعَبْتُ فَآتَانِي، وَالَّذِي فَزَعْتُ مِنْهُ جَاءَ عَلَيَّ. ٢٦ لَمْ أَطْمَئِنَّ وَلَمْ أَسْكُنْ وَلَمْ أَسْتَرِحْ وَقَدْ جَاءَ الْغَضَبُ.»

لم يعرف القدماء بالضبط الحالة، التي يصير إليها الإنسان بعد الموت، كما أعلنت لنا في العهد الجديد. بل ظنوا أنها في الهاوية أخيلة، بلا أجساد وبلا أفراح الحياة. لذلك نرى هيمان الأزراحي يقول: «لأنه قد شبع من المصائب نفسي، وحياتي إلى الهاوية دنت. حسبت مثل المنحدرين إلى الجب. صرت كرجل لا قوة له. بين الأموات فراشي مثل القتل المضطجعين في القبر الذين لا تذكرهم بعد، وهم من يدك انقطعوا. وضعتني في الجب الأسفل، في ظلمات، في أعماق. علي استقر غضبك وبكل تياراتك ذللتني. سلاه. أبعدت عني معارفي. جعلتني رجساً لهم. أعلق علي فما أخرج. عيني ذابت من الدل. دعوتك يا رب كل يوم. بسطت إليك يدي. أفلعلك للأموات تصنع عجائب، أم الأخيلة

تَقُومُ تَمَجِّدُكَ؟ سِلاَه. هَلْ يُحَدِّثُ فِي الْقَبْرِ بِرَحْمَتِكَ أَوْ بِحَقِّكَ فِي
 أَهْلَاكِ؟ هَلْ تُعْرِفُ فِي الظُّلْمَةِ عَجَائِبُكَ وَبِرُّكَ فِي أَرْضِ النَّسِيَانِ؟
 (مزمور ٨٨: ٣-١٢). ونرى حزقياً الملك يقول: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، بِهِدِهِ
 يَحْيُونَ، وَبِهَا كُلُّ حَيَاةٍ رُوحِي فَتَشْفِينِي وَتَحْيِينِي. هُوَذَا لِلسَّلَامَةِ قَدْ
 تَحَوَّلَتْ لِي الْمَرَارَةُ، وَأَنْتَ تَعَلَّقْتَ بِنَفْسِي مِنْ وَهْدَةِ أَهْلَاكِ، فَإِنَّكَ
 طَرَحْتَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ كُلَّ خَطَايَايَ. لِأَنَّ أَهْوَايَةَ لَا تَحْمَدُكَ. الْمَوْتُ
 لَا يُسَبِّحُكَ. لَا يَرْجُو أَهْلَابُطُونَ إِلَى الْجُبِّ أَمَانَتِكَ. الْحَيُّ الْحَيُّ هُوَ
 يَحْمَدُكَ كَمَا أَنَا الْيَوْمَ» (إشعيا ٣٨: ١٦-١٩).

أما أيوب وإن كانت أفكاره تشبه أفكار غيره من القدماء. إلا
 أنه في غمرة آلامه فضّل الموت على الحياة. وحسب الموت راحة
 بالنسبة إلى أوجاعه. ومن أيام أيوب إلى نهاية العهد القديم، تغنّى
 الكثيرون من الرازحين تحت الكدر بهذه الألفاظ الجميلة. لأنهم
 كانوا يعتقدون أنّ ضجعة الموت تريحهم من أتعابهم، كما يرتاح
 المتعب بالنوم. ولكن لما جاء يسوع، أعطى للراحة مفهومها
 الحقيقي. لأنه علم أن لا راحة، إلا بالخلاص من الخطية.
 ولسعادة الإنسانية أنه فدى الإنسان من الخطية، وبرره وأعطاه
 سلام الله، الذي يريح القلب، ويشفي الضمير من أعمال مיתה.
 في الواقع أنه قبل المسيح كان شبح الموت جاثماً على صدر

الإنسان . وكانت ظلمة الهاوية، تثير الرهبة في نفسه . ولكن حين أمات المسيح الموت بموته الكفاري، وغلب الهاوية بقيامته، قام رجاء المؤمنين، وانطلقت أنشودة الرجاء على فم بطرس: «مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةَ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، ٤ لِمِيرَاثٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَدَنَّسُ وَلَا يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظًا فِي السَّمَاوَاتِ لِأَجْلِكُمْ» (١ بط ٣:١ و٤).

في القسم الثالث من خطابه قال أيوب: لم يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ، وَحَيَاةً لِمُرِيٍّ النَّفْسِ؟ ولعله لم يقدر أن يرى طريقته أو سبب كآبة حياته . إنه لا يرى غرضاً أو سبباً لحلول هذه المحن القاسية عليه، والتفكر في ذلك يزيد ضيقه ضيقاً . في اضطراب فكره أتى عليه خوف، فسلبه السلام والطمأنينة والراحة . إنه يتكلم بمرارة في ضيقه الهائل، ولكنه لا ينسب ظلماً لله، ولا يرفض طاعة له، ولا يترك استقامته . وكل ما هنالك هو أن مصائبه، وضعت لشكواه ألفاظاً خارجة عنه وليس لها مقر في قلبه .

والآن ماذا يعلمك الكتاب المقدس ببسطه الحالة المعنوية السيئة، التي صار إليها أيوب في محنته القاسية؟ من المؤكد أن روح الله ألهم كاتب هذا السفر أن يدوّن لنا ضعفات رجال الله:

- ١ - لكي يؤكد لنا أنه ليس من إنسان كامل سوى يسوع المسيح .
- ٢ - ليعلمنا بأن لا نعتر بأنفسنا مهما بلغت تقوانا لأنه بدون عون الله، لا يستطيع أي منا أن يثبت حين تحقيق به البلايا، حتى التي هي أقل صعوبة من بلايا أيوب .
- ٣ - التشكي من المصائب يزيدھا، ولا يقلل منها. وإنَّ الصبر والسكوت، أفضل وأولى أمام الرزايا .
- ٤ - لا يليق بأحد أن يقول: ليتني لم أولد. فإنَّ الحياة الأبدية وجميع خيراتها، مُعدَّة للمولودين، لكل من يقبلها بالإيمان بالمسيح (متى ٢٢: ٤) .

الصلاة

نشكرك أيها السيد الرب، لأنك دعوتنا إلى الراحة بالقرب منك، ولأنك استأصلت من قلوبنا الخوف من الموت . وبانتظار ذهابنا إليك، أعطيتنا قوة الإيمان والرجاء والمحبة، التي بها نغلب ونرتفع فوق كل المخاوف . آمين .

السؤال

٦ - ماذا قال أيوب في القسم الثالث من خطابه؟

٧ - ما هو سبب كآبته؟

الأصحاح الرابع ١ فَأَجَابَ أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ: ٢ «إِنْ أَمْتَحَنَ أَحَدٌ

كَلِمَةً مَعَكَ فَهَلْ تَسْتَأْ؟ وَلَكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ الْأَمْتِنَاعَ عَنِ الْكَلَامِ! ٣
هَآ أَنْتَ قَدْ أَرْشَدْتَ كَثِيرِينَ وَشَدَّدْتَ أَيَادِي مُرْتَحِيَةً. ٤ قَدْ أَقَامَ
كَلَامُكَ الْعَاثِرَ وَتَبَّتْ الرُّكْبَ الْمُرْتَعِشَةَ. ٥ وَالْآنَ إِذْ جَاءَ عَلَيْكَ
ضَجِرْتَ! إِذْ مَسَّكَ أَرْتَعْتَ! ٦ أَلَيْسَتْ تَقْوَاكَ هِيَ مُعْتَمَدَكَ
وَرَجَاؤُكَ كَمَالَ طُرُقِكَ؟ ٧ أَذْكَرُ مَنْ هَلَكَ وَهُوَ بَرِيءٌ، وَأَيْنَ أُبِيدَ
الْمُسْتَقِيمُونَ؟ ٨ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ أَنَّ الْحَارِثِينَ إِثْمًا وَالزَّارِعِينَ شَقَاوَةً
يُخْصِدُونَهُمَا. ٩ بِنَسْمَةِ اللَّهِ يَبِيدُونَ وَبَرِيحِ أَنْفِهِ يَفْنُونَ. ١٠ زُجْرَةٌ
الْأَسَدِ وَصَوْتُ الزَّيْبِرِ وَأَنْيَابُ الْأَشْبَالِ تَكْسَّرَتْ. ١١ أَلَلَيْتُ هَالِكًا
لِعَدَمِ الْفَرِيَسَةِ وَأَشْبَالُ اللَّبْوَةِ تَبَدَّدَتْ .

إن أصحاب أيوب الثلاثة رأوا وهم ساكتون حزن الرجل الذي
أحبَّوه، وأصغوا بكل اهتمام إلى ما بدا منه من انفجار العواطف .
وظهر لهم أنه يشف عن وجود خطأ في حياته الماضية . صحيح أنه
لم ينسب ظلماً لله، ولكنه اندهش كيف أن الله سمح بأن تأتي
هذه البلياء!

لقد فقد صبره الذي تذرَّع به عند حلول المصائب الأولى عليه
وتوبيخ زوجته له، وهال أصحابه تشوَّقه إلى الموت . ومع أنهم كانوا
واثقين بتقواه، إلا أنهم لم يقدرُوا أن يتخلَّصُوا من هذا الفكر، إنَّ
المصيبة الأخيرة أتت عليه بسبب خطية ارتكبها في الماضي .

فجادلوه على هذا الأساس، وكان أول المتكلمين أليفاز التيماني.

كان أليفاز أرفع الأصحاب شأنًا وأعظمهم تبصراً. فافتتح المناقشة بكلام بليغ وأسلوب شعري جميل. وكان كلامه معتدلاً جداً، وتكاد فاتحته تكون اعتذاراً. إلا أنه يُبدي تعجبه من كلام أيوب! كان ينتظر منه الصبر وطول الأناة نظراً لمعرفته في أمور الله. وبعبارات لطيفة، حذر صديقه من التذمر على الله. لأنه هو الخالق والقدوس العادل. وليس لأحد أن يعترض على أحكامه. وقد اندهش أليفاز من أن أيوب معزّي الآخرين، يقع في اليأس. وحين كلمه عمّا كان يفعله هو لو كان في موضع أيوب، كان كلامه مملوءاً من التبصّر والعطف. وفيه يمتدح صفات صديقه السامية، وطول باعه في إرشاد الكثيرين من الضالين، وتقوية الكثيرين من الضعفاء. ونفهم من العبارات أن أيوب عمل في ماضيه على تثبيت الآخرين في الإيمان، وأنه لم يعيش لنفسه، ولا اكتفى بالإحسان من ماله كعادة الأغنياء، بل قدّم نفسه بخدمات روحية للمحتاجين. «والأيادي المرتخية والركب المرتعشة» تشير إلى الضعفاء بالإيمان والعزم.

وأنت أيها الأخ، هل أنت في موقف كهذا، تستطيع أن تعظ غيرك، وترفع من معنوياته أمام مشاكل الحياة وأوجاعها. ولكنك

حين تحقيق بك البلايا والمحن، تسقط أناتك، وتفتر عزيמתك؟ تذكر أن الله حين يسمح بالأرزاء أن تنزل بك، لا يفعل ذلك كرهاً بك. العكس هو الصحيح، «لأنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يِقْبَلُهُ» (عبرانيين 12: 6). وقد قال الرسول يعقوب: «احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَ مَا تَقْعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ أُمَّتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ» (يعقوب 1: 2-4).

حين قال أليفاز لأيوب: «أَلَيْسَتْ تَفَوَاكِ هِيَ مُعْتَمَدُكَ؟» كان في قوله شيء من العتاب، والدعوة لاعتماد التقوى في التغلب على الشدائد. وقد قسم الناس إلى قسمين أمام عينيه: القسم الأول، الذين يخطئون ويتوبون، ويستفيدون من تأديب الله ويرجعون إليه. وتكون نتيجة تأديب الرب لهم. اشتراكهم في قداسته. أما القسم الثاني، فهم الذين يتركون الله على أثر مصيبة، ولا يتوبون عن شرِّ قلوبهم. هؤلاء هم «الحارثون إثمًا، الزارعون شقاوة» ولا بد أن يحصدوا ذلك في حينه.

التَّقْوَى التَّقْوَى! «إِنَّهَا مَعَ الْقَنَاعَةِ تَجَارَةٌ عَظِيمَةٌ» (1 تيموثاوس 6: 6). التَّقْوَى هي مخافة الله، التي تحمل الإنسان على تعظيم الخالق وإكرامه، والامتثال لإرادته. وقد عُرف بالاختبار أن التَّقْوَى هي أصل

الصبر في الضيقات . ومنها ينبع التعفّف واعتزال الشهوات الرديئة .
حين سأل التلاميذ يسوع عن المولود أعمى : « مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا
أَمْ أَبَوَاهُ؟ » (يوحنا ٩ : ٢) قال إنّ العاهة التي أصيب بها هذا الفتى لم
تكن نتيجة للخطيئة؟ فحين نقابل هذا الجواب بكلمة أليفاز « مَنْ
هَلَكَ وَهُوَ بَرِيءٌ؟ » نظنّ أنّ ضيراً وقع على أيوب دون حق .
لم يكن أيوب بريئاً كل البراءة، ولا طرقه كاملة كلها أمام الله . ومع
ذلك فمتى علمنا أنّ أليفاز كان هدفه أن يقتاد صديقه إلى التسليم
لتأديب الرب، ليغفر له ذنبه وينجّيه من شدائده، حينئذ نلتمس له
بعض العذر . والواقع أنّ هذه الغاية معبر عنها في ختام خطابه .

الصلاة

يا ربنا الله، نعظم اسمك الكريم، ولا نتكل على تقوانا . ولا نعتمد على
برنا، لأنّ لا برّ لنا . ونشكرك لأجل يسوع البار الذي إذ رأنا بلا بر تحنّ علينا،
وبررنا بدمه الثمين . وأهلنا للمكوتك . أعطنا روح التسليم لمشيئتك والاتكال
عليك، في تفريج كربنا وإزالة صعوباتنا . وامنحنا الفكر الصالح لنقبل
التأديب كدليل حبك لنا . آمين .

السؤال

- ٨ - ما هي نتيجة تأديب الرب؟
- ٩ - ما هو قصد أليفاز من عتابه لأيوب؟

٤: ١٢ ثُمَّ إِلَيَّ تَسَلَّلْتَ كَلِمَةً فَقَبِلْتُ أُذُنِي مِنْهَا هَمْسًا. ١٣ فِي أَلْهُوَاجِسِ
 مِنْ رُؤْيِ اللَّيْلِ عِنْدَ وَقُوعِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ ١٤ أَصَابَنِي رُغْبٌ
 وَرَعْدَةٌ، فَرَجَفْتُ كُلَّ عِظَامِي. ١٥ فَمَرَّتْ رُوحٌ عَلَيَّ وَجْهِي.
 أَقْشَعَرَ شَعْرُ جَسَدِي. ١٦ وَقَفْتُ وَلَكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَنْظَرَهَا. شَبَّهُ
 قُدَّامَ عَيْنِي. سَمِعْتُ صَوْتًا مُنْخَفِضًا: ١٧ أَلْإِنْسَانُ أَبْرٌ مِنَ اللَّهِ، أَمْ
 الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟ ١٨ هُوَذَا عَبِيدُهُ لَا يَأْتُمْنُهُمْ وَإِلَى مَلَائِكَتِهِ
 يَنْسَبُ حِمَاقَةٌ. ١٩ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ سَكَّانُ بُيُوتٍ مِنْ طِينِ الَّذِينَ
 أَسَاسُهُمْ فِي التُّرَابِ وَيُسْحَقُونَ مِثْلَ الْعُثِّ؟ ٢٠ بَيْنَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ
 يُحِطِّمُونَ. بَدُونَ مُنْتَبِهٍ إِلَيْهِمْ إِلَى الْأَبَدِ يَبِيدُونَ. ٢١ أَمَا أَنْتِزَعْتَ
 حِبَالَ خِيَامِهِمْ؟ يَمُوتُونَ بِأَلَا حِكْمَةٍ.

في هذا القسم من خطابه، يرى أليفاز رؤيا ويتكلم عن قداسة
 الله، وحماسة الناس والملائكة. ويشير إلى أنه لا فائدة لأيوب من
 الالتجاء إلى الله، بواسطة الخلائق السماوية. وفي تعبير آخر حاول
 أليفاز أن يوقظ في أيوب الشعور بطهارة الله السامية وضعف جميع
 خلائقه، الذين لم يكن أيوب سوى واحد منهم، فهم عرضة
 للخطأ. فلماذا يتذمّر أيوب على الله؟ وأنه لمن العبث أن يستغيث
 بالملائكة وهم لا يلبون له طلباً.

لعل أيوب كان في حاجة ماسة إلى تحذير صديقه أليفاز، فقد

بَرَّ نفسه قدام الله، والذي يبرّر نفسه يدين الله. فالصوت الخفي الذي همس في أذن أليفاز، أظهر له بوضوح سخافة ادعاء الإنسان الخاطئ بأنه بار أمام إلهه.

هل سبق لهذا الصوت أن همس في ضميرك، مؤنباً إياك على التمسك ببرك الذاتي الموهوم؟ هذا صوت الروح القدس، الذي قال يسوع المسيح إنه «يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْئُونَةٍ» (يوحنا ١٦: ٨). ليت هذا الصوت الخفي يُقابل عندك بالاعتراف بالمدنوية وبالتوبة الشاملة! ليتك تشارك بولس اعترافه حين قال: «وَأَوْجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بَرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبَرُّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ» (فيلبي ٣: ٩).

إن كانت معرفة خدام الله الأصفياء القديسين تُحسب بالنسبة لجلاله هزيلة، فأين تذهب أنت أهما الإنسان المتجاسر في حضرة القدوس الحق؟ وإن كان ملائكته لا يتجاسرون على أن يدعوا لأنفسهم استحقاقاً كاملاً وخدمة بلا عيب، فكم بالحرى الإنسان عبد التراب، لا يحق له أن يدعي استحقاقاً؟! الإنسان بيته من طين، يوجد في الصباح وفي المساء يُحطم، هكذا قال أليفاز، مشيراً إلى ضعف الجسد البشري وسرعة زواله. إنه يذكرنا بالصوت القائل: إنَّ أيامَ سنينا كقصة، «لأنَّهَا تُفْرَضُ سَرِيعاً فَنَطِيرُ» (مزمور

٩٠: ١٠). وإنَّ حياتنا كبخار «يَظْهَرُ قَلِيلًا ثُمَّ يَضْمَحِلُّ» (يعقوب ٤: ١٤). وبحسب قول أليفاز، إن الإنسان نظرا لقلّة أيامه على الأرض، يموت بلا حكمة. ولكن العهد الجديد يعلمنا أنه مع قصر أيامنا، نستطيع أن نحصل على الحكمة إن نحن طلبناها من الله. فقد قال الرسول يعقوب: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعَوِّزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنْ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ» (يعقوب ١: ٥).

نحن في الواقع جميعاً في حاجة إلى الحكمة، لكي نفتدي الوقت كما أوصانا بولس في رسالته إلى أفسس. وكانت حكمة افتداء الوقت موضوعاً لصلاة داود الملك. فقد سأل الله قائلاً: «إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هَكَذَا عَلَّمْنَا فَنُؤْتِي قَلْبَ حِكْمَةٍ» (مزمو ٩٠: ١٢).

إنَّ حكمة افتداء الوقت، تعلّمنا عدم استهلاك الأيام في العبث. وتهيب بنا أن نسهر على قداسة سيرتنا، لأنَّ الله اختارنا في المسيح لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. نتعلّم من أقوال أليفاز:

- ١ - أنَّ إنذارنا لغيرنا، أهون من إنذارنا أنفسنا.
- ٢ - أنَّ التذمّر هو الحكم على الله.
- ٣ - أنَّ لنا في الكتاب المقدس كلاماً أثبت من رؤى الليل.

٤ - أن الإنسان يتّضع عندما ينظر إلى نعمة الله العاملة فيه .

٥ - أن لنا بيتاً أبدياً غير مصنوع بيد .

الصلاة

أهها السيد الرب، نحن المزدري وغير الموجود . ومع ذلك فنحن نستكبر ونشمخ، لذلك نسألك أن تسحق كبرياءنا حتى نسلك متواضعين معك . علمنا حكمة إحصاء الأيام، حتى نصرف أيامنا في عمل الأشياء المرضية أمامك . قدس قلوبنا، طهر أفكارنا، نقّ نوايانا، ولك الشكر! آمين .

السؤال

١٠ - لماذا كان أيوب في حاجة إلى تحذير صديقه أليفاز؟

الأصحاح الخامس ١ «أدع الآن . فهل لك من مجيب! وإلى أيّ القديسين تلتفت؟ ٢ لأنّ العيظ يقتل العبيّ والغيرة تميمت الأحمق . ٣ إني رأيت العبيّ يتأصل وبغته لعنت مريضه . ٤ بنوه بعيدون عن الأمن، وقد تحطّموا في الباب ولا منقذ . ٥ الذين يأكل الجوعان حصيدهم ويأخذهُ حتى من الشوك، ويشتف الظمان ثروتهم . ٦ إنّ البليّة لا تخرج من التراب والسقاوة لا تنبت من الأرض، ٧ ولكنّ الإنسان مولود للمشقة كما أنّ الجوارح لارتفاع الجناح .

كان أيوب قد لعن اليوم، الذي وُلد فيه . فكأن كلامه اعتراض

على الله، الذي أعطاه الحياة . وبدأ أليفاز عظته له حاضاً إيّاه وقائلاً:
ليس لك منقذ بواسطة الخلائق، فادع الله . لا تغتظ لأن الغيظ يقتل
الغبي . ومن يشتكي على الله لا ينتفع، بل يجلب سخط الله وغضبه
على نفسه . قد ينجح الغبي نجاحاً وقتياً . ولكن لا بد أن يسقط إن
عاجلاً أو آجلاً . «لَا تَغْرَ مِنَ الْأَشْرَارِ وَلَا تَحْسُدْ عُمَّالَ الْإِثْمِ، فَإِنَّهُمْ
مِثْلُ الْحَشِيشِ سَرِيعاً يُقْطَعُونَ، وَمِثْلُ الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ»
(مزمو ٣٧: ١ و ٢) .

٥: ٨ «لَكِنْ كُنْتُ أَطْلُبُ إِلَى اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ أَجْعَلُ أَمْرِي . ٩ أَلْفَاعِلِ
عَظَائِمَ لَا تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ . ١٠ الْمُنْزِلِ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمُرْسِلِ الْمِيَاهَ عَلَى الْبَرَارِيِّ . ١١ الْجَاعِلِ الْمُتَوَاضِعِينَ فِي الْعُلَى
فَيْرْتَفِعُ الْمُحْزُونُونَ إِلَى أَمْنٍ . ١٢ الْمُبْطِلِ أَفْكَارِ الْمُحْتَالِينَ فَلَا تُجْرِي
أَيْدِيهِمْ قُضْدًا . ١٣ الْأَخِذِ الْحُكَمَاءَ بِحِيلَتِهِمْ فَتَتَهَوَّرُ مَشُورَةُ الْمَاكِرِينَ .
١٤ فِي النَّهَارِ يَصْدُمُونَ ظَلَامًا، وَيَتَلَمَّسُونَ فِي الظَّهِيرَةِ كَمَا فِي
اللَّيْلِ . ١٥ الْمُنْجِيِ الْبَائِسَ مِنَ السَّيْفِ، مِنْ فَمِهِمْ وَمِنْ يَدِ الْقَوِيِّ .
١٦ فَيَكُونُ لِلذَّلِيلِ رَجَاءً وَتَسُدُّ الْخَطِيئَةَ فَاهَا .

هنا يتقدّم أليفاز في كلامه، ذاكرًا ما كان يفعله هو لو كان في
موضع أيوب . ويصرح بأنه كان حينئذ يسلم أمره لله العظيم القوة

والعجيب في كل طرقة. وكأنه يقول لأيوب: اقبل تأديب الله، لأنه يرفع المتواضعين، ويعزّي الحزانى، وينجّي المسكين والبائس، ويسند المستضعف. ويشجّع المتخاذل. إنه يجعل للدليل كرامة، ويعطي البائس رجاءً حياً. ويبطل أفكار المحتالين. فلا تتم أيديهم حيلهم التي قصدوها. إنهم يُصدمون مع وجود النور، نظراً لعماهة (لظلمة) قلوبهم. وقد أخبرنا الإنجيل أن الأشرار يحبون الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. ويسوع له المجد قال لليهود: «لَا تَرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ» (يوحنا ٤٠:٥).

٥: ١٧ «هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللهُ. فَلَا تَرْفُضُ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ. ١٨ لِأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ. ١٩ فِي سِتِّ شَدَائِدَ يُنَجِّيكَ وَفِي سَبْعٍ لَا يَمْسُكُ سُوءٌ. ٢٠ فِي الْجُوعِ يَقْدِيكَ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْحَرْبِ مِنْ حَدِّ السَّيْفِ. ٢١ مِنْ سَوَاطِئِ اللِّسَانِ تُخْتَبَأُ فَلَا تَخَافُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا جَاءَ. ٢٢ تَضْحَكُ عَلَى الْحَرْابِ وَالْمَجَاعَةِ وَلَا تَخْشَى وَحُوشَ الْأَرْضِ. ٢٣ لِأَنَّهُ مَعَ حِجَارَةِ الْحَقْلِ عَهْدُكَ وَوَحُوشُ الْبَرِّيَّةِ تُسَالِمُكَ. ٢٤ فَتَعْلَمُ أَنَّ خَيْمَتَكَ أَمِنَةٌ وَتَتَعَهَّدُ مَرِيضَكَ وَلَا تَفْقِدُ شَيْئاً. ٢٥ وَتَعْلَمُ أَنَّ زَرْعَكَ كَثِيرٌ وَذُرِّيَّتَكَ كَعُشْبِ الْأَرْضِ. ٢٦

تَدْخُلُ الْمَدْفَنَ فِي شَيْخُوخَةٍ كَرَفَعِ الْكُدْسِ فِي أَوَانِهِ . ٢٧ هَا إِنَّ ذَا قَدْ
بَحَثْنَا عَنْهُ . كَذَا هُوَ . فَاسْمَعُهُ وَأَعْلَمِ أَنْتَ لِنَفْسِكَ» .

لقد أصاب أليفاز في كثير مما قاله، ولكنه في توجيه نظر أيوب
إلى البركات التي تنبع من التأديب، يقصر جداً عن مقياس
الإنجيل . فهو ينظر إلى التأديب كقصاص حق على الخطايا المقترفة،
ويغض الطرف عن جوهر المحبة فيه .

في الواقع، حين نتأمل موضوع التأديب عبر الكتاب المقدس،
نرى أن رجال العهد الجديد أطول باعاً في إيضاح القصد الإلهي
من التأديب . فقد قال الرسول بولس «لَأَنَّ خِيفَةَ ضَيْقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ
تُنَشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثَقَلِ مَجْدِ أَبَدِيًّا» (٢ كورنثوس ٤: ١٧) . فبالرغم
من شدة الضيقات التي جازها الرسول . فحين قابلها بسعادة
السماء، التي لا حد لعظمتها ولا نهاية لها، تضاءلت في نظره،
حتى عبر عنها بكلمة «خفة ضيقتنا» .

فإنه في نعمته، وعد أنه يثيب المؤمنين على ضيقاتهم بأفراح
السماء . والضيقات تنشئ الفرح، لأنها تزكينا وتعدنا لذلك المجد
في منازل الأب . وتجعلنا نتوق إليه ونسرب، أكثر مما لو حصلنا
عليه بلا تعب ولا ألم . وقد أشار الرسول بطرس إلى هذه الحقيقة،
فقال: «لَا تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةً، لِأَجْلِ

أَمْتِحَانِكُمْ، كَأَنَّهُ أَصَابِكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ، بَلْ كَمَا أَشْتَرَكْتُمْ فِي آلَامِ الْمَسِيحِ
أَفْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلَانِ مَجْدِهِ أَيْضاً مُبْتَهَجِينَ» (١ بط ٤: ١٢
و١٣).

يرجح بعض المفسرين أن أليفاز لو استعمل هذا الوجه من
التأديب، كان يمكن أن يعزّي أيوب. لقد رأى لعنة الجهّال،
وفشل حيلة المحتالين. ولكنه لم ير المحبة التي تبعث على
التأديب. إن كلماته البليغة لم تأت بالسّلام إلى أيوب المتألم، ولا
بالبلسم إلى قلبه المألن حزناً. قد يكون الألم سياجاً للمجد، ولكن
هذا السياج، ليس بحائل دون طالب المجد، إن هو أراد الدخول
من الباب، الذي هو الرب يسوع نفسه. وشكراً لله لأنّ يسوع
قال: «إَفْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ» (متّى ٧: ٧).

حين قال أليفاز إنّ الإنسان مولود المشقة. كان يعني أنّ المشقة
أمر لا بد منه. ويجب على الإنسان أن لا يتعجب من وجود المشقة
في سبيله. فقد وجدت منذ أن وجدت الخطيئة في العالم. ولكن
شكراً لله لأنّ الخطيئة ليست أمراً محتوماً علينا. المخلص يسوع
لاشى سلطانها. وبوسع كل إنسان أن يخلص منها ومن أثرها إن
هو قبله مخلصاً شخصياً.

الصلاة

نعظم اسمك الكريم يا إلهنا القدوس . ونباركك لأجل حكمتك في
التأديب . ونشكرك لأجل الصبر الذي تعطيه للصدِّيق، لكي يشمل
التأديب . ونشكرك بنوع خاص لأجل ربنا يسوع المسيح الذي نال عنا
حكم الدينونة والقصاص . أعطنا النعمة لكي نمجد اسمك . آمين .

السؤال

١١ - بمَ أشار أليفاز على أيوب أن يفعل؟

الأصحاح السادس ١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ: ٢ «لَيْتَ كَرْبِي وَزِنَ وَمَصِيبِي
رُفِعَتْ فِي الْمَوَازِينِ جَمِيعَهَا. ٣ لِأَنَّهَا الْآنَ أَثْقَلُ مِنْ رَمْلِ الْبَحْرِ. مِنْ أَجْلِ
ذَلِكَ لَعَا كَلَامِي. ٤ لِأَنَّ سِهَامَ الْقَدِيرِ فِيَّ، تَشْرَبُ رُوحِي سُمَّهَا. أَهْوَالُ
اللَّهِ مَضْطَفَةٌ ضِدِّي. ٥ هَلْ يَنْهَقُ الْفَرَاءُ عَلَى الْعُشْبِ أَوْ يَخُورُ النَّوْرُ عَلَى
عَلْفِهِ؟ ٦ هَلْ يُؤْكَلُ الْمَسِيخُ بِلَا مِلْحٍ، أَوْ يُوجَدُ طَعْمٌ فِي مَرَقِ الْبَقْلَةِ؟ ٧
عَافَتْ نَفْسِي أَنْ تَمَسَّهَا، فَصَارَتْ خُبْزِي الْكَرِيه!

اعتقد أليفاز أن أيوب ارتكب خطيئة، فكانت كلماته خالية
من العطف، الذي توقع أيوب أن يراه من أصحابه . وتكلّم أليفاز
عن تضجّر أيوب وأشار إلى أنّ هذا التضجّر يُحسب جهالة بالنسبة
لعارفي الله . الأمر الذي أثار أيوب فاطلق صرخة داوية يطلب فيها

الإنصاف . ثم لا يلبث أن يتَّهم أليفاز بأنّه ينظر إلى الأمور بسطحية، فلا يرى أنّ مصائبه المتتالية أمر يستلزم الشكوى . كان يرجو منه أن يضع البلايا التي نزلت به في كفة ميزان مع تدمره، إذن لرتى لحاله على الأقل ! ولكنه للأسف أسمع أقوالاً ليست فقط بعيدة عن كلام التعزية، بل أيضاً صبّ في أذنيه عبارات النقد الجرح كقوله: «الغيظ يقتل الغبي والغيرة تميت الأحمق» . فأثار كلامه أيوب، فتكلّم بمبالغة، ووصف كربه بأنّه أثقل من رمل البحر . وخيبة أمله بموقف أليفاز، لم تكن وحدها سبب حزنه، بل كان له سبب آخر، وهو الشعور بأنّ الله صار عدوّه، ويخشى أن تكون بلاياه قد أتت رأساً من الله . ولم يلبث أن لغا بكلامه، أي صار طائشاً . فنسب إلى القدير أنّه رشقه بسهامه المسمومة، معبراً بذلك عن البلايا التي سمح الله أن تنزل به . وهذه المصائب الشديدة، شبّهها بجيوش عدّة مصطفة لقتاله .

صحيح أنّ هناك سبباً لصراخ الألم وأنّ حالة أيوب ليست من الأمور التي يمكن الاستخفاف بوقعها . فقد فقدَ طعم الحياة، حتى أنّه شبّهها بمرق البقلة الغث، الذي أُعدّ بدون ملح . ولهذا تعاف نفسه الطعام، الذي صار طعامه اليومي . فهو يصرخ كالحمار الوحشي، أو كالثور الذي لا يخور بلا سبب . إلا أنّ هذه الأسباب

مع وجاهتها، لا يمكنها أن تبرر مبالغة أيوب في نثر الإتهامات، ضدّ محدّثه وضدّ الله.

٨ : « يَا لَيْتَ طَلَبْتِي تَأْتِي وَيُعْطِينِي اللَّهُ رَجَائِي ! ٩ أَنْ يَرْضَى اللَّهُ بِأَنْ يَسْحَقَنِي وَيُطْلِقَ يَدَهُ فَيَقْطَعَنِي . ١٠ فَلَا تَزَالُ تَعْزِيْتِي وَأَبْتَهَاجِي فِي عَذَابٍ لَا يُشْفِقُ أُنِي لَمْ أَجِدْ كَلَامَ الْقُدُّوسِ . ١١ مَا هِيَ قُوَّتِي حَتَّى أَنْتَظِرَ، وَمَا هِيَ نَهَائِي حَتَّى أُصَبِّرَ نَفْسِي؟ ١٢ هَلْ قُوَّتِي قُوَّةُ الْحِجَارَةِ؟ هَلْ لِحْمِي نُحَاسٌ؟ ١٣ أَلَا إِنَّهُ لَيْسَتْ فِي مَعُونَتِي، وَالْمُسَاعَدَةَ مَطْرُودَةٌ عَنِّي !

الآن يعبر أيوب عن رغبته في أن يأتي عليه الموت، الذي كان يشتاق إليه، حينئذ لا يخاف. ومن الجهة الأخرى يتعزّى، لأنّه لم ينكر الرب. صحيح أنّ الحياة كانت قد ثقّلت المطالب على قوّته وصبره، حتى صيرته غير قادر على أن يخوض معارك أخرى. ولكن مع تبرمه بالحياة وتدمره من نصيبه منها، لم يمجّد كلام القدوس، وإنما طلب إليه أن يسمح له بالموت. مثله كإيليا ويونان اللذين طلبا الموت، ولكنّ الله لم يستجب لهما. لأنّ الموت لا يأتي إلا في الوقت، الذي عيّنه الله، وبعد نهاية الفرصة، التي أعطاهها الخالق للإنسان لتكملة واجباته والاستعداد للرحيل.

لم يفكر أيوب بقوة الله اللامحدودة، والقادرة أن تشفيه من مرضه الخبيث. وأن تردّ له أمواله، وتقيم له نسلًا جديدًا. ولهذا قال متضجرًا: ما هي نهايتي لأصبر نفسي؟ لكأنه نسي أن الله، لا يتخلّى عن صديق، بل يقف بجانبه في كل محنة. وكسيد الظروف، يحول كل شيء لخير الذين هم له.

في فصل سابق، قال أليغاز، إنه لو كان في موضع أيوب، لكان سلّم أمره لله بلا تردّد. وأنت هل في وسعك أن تتصرف على هذا النحو، حين تحقيق بك البلياء، وتحقق بك الضيقات؟ فتسلّم كل شيء لله، واضعاً ثقتك كل ثقتك في عنايته. داود في إبان بلاياه، سلّم أمره لله وانتظره. والرب سمع صراخه، وأخرجه من جب الهلاك. ومن صميم اختباره، كتب لنا نشيده الرائع: «هَذَا الْمُسْكِينُ صَرَخَ، وَالرَّبُّ اسْتَمَعَهُ، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقَاتِهِ خَلَّصَهُ. مَلَأَ الرَّبُّ حَالَ حَوْلِ خَائِفِيهِ وَيُنَجِّبِهِمْ» (مزمو ٣٤: ٦ و٧).

ما أحوجنا في هذه الأيام الصعبة إلى ديانة عملية اختبارية كهذه، تستطيع أن تستصرخ الله، وتستنفر حنانه لإنقاذ النفوس البائسة وإخراجها من جب الهلاك. هذه الديانة ميسورة لنا، إن كنا نُقبل إلى يسوع، الذي له القدرة على خلاص كل نفس تطلبه من كل القلب.

الصلاة

يا سامعاً الصلاة، إليك يأتي كل بشر. نشكرك لأنك قريب من كل الذين يدعونك، الذين يدعونك بالحق. أنعم علينا باستجابة صلواتنا من أجل سلام النفوس اليائسة. أعلن ذاتك معيناً لكل نفس رازحة تحت الآلام، وأباً محباً بهتم بكل خلائقه. آمين.

السؤال

١٢ - لماذا كانت كلمات أليفاز خالية من العطف؟

٦: ١٤ «حَقُّ الْمَحْزُونِ مَعْرُوفٌ مِنْ صَاحِبِهِ وَإِنْ تَرَكَ خَشِيَةَ الْقَدِيرِ.
١٥ أَمَّا إِخْوَانِي فَقَدْ غَدَرُوا مِثْلَ الْغَدِيرِ. مِثْلَ سَاقِيَةِ الْوُدَيَانَ
يَعْبُرُونَ. ١٦ الَّتِي هِيَ عَكْرَةٌ مِنَ الْبَرْدِ وَيَخْتَفِي فِيهَا الْجَلِيدُ. ١٧ إِذَا
جَرَتْ انْقَطَعَتْ. إِذَا حَمِيَتْ جَفَّتْ مِنْ مَكَانِهَا. ١٨ تَحِيدُ الْقَوَافِلُ
عَنْ طَرِيقِهَا، تَدْخُلُ الَّتِيهَ فَتَهْلِكُ. ١٩ نَظَرْتُ قَوَافِلُ تَيْمَاءَ. مَوَاكِبُ
سَبَأٍ رَجَوْهَا. ٢٠ خَزَوْا فِي مَا كَانُوا مُطْمَئِنِّينَ. جَاءُوا إِلَيْهَا فَخَجِلُوا.
٢١ فَالآنَ قَدْ صرْتُمْ مِثْلَهَا. رَأَيْتُمْ ضَرْبَةَ فَفَزِعْتُمْ. ٢٢ هَلْ قُلْتُ:
أَعْطُونِي شَيْئاً، أَوْ مِنْ مَالِكُمْ أَرْشُوا مِنْ أَجْلِي، ٢٣ أَوْ نَجُونِي مِنْ يَدِ
الْخَضَمِ، أَوْ مِنْ يَدِ الْعَتَاةِ أَفْدُونِي؟

أصبح أيوب خائر القوى، لا يجد عوناً من نفسه وقد يس من

الشقاء . ثم عبّر عن شدة حزنه لحبّية أمله من موقف أصحابه نحوه . لم يشك في كونهم قصدوا تعزيته . فإنهم كابدوا مشقة السفر الطويل لكي يأتوه ويروه . لقد عرفوه وعرفوا أسلوب حياته، ومع ذلك فإنهم كانوا في شك في أفكارهم من جهة أحواله الأدبية . وكان فحوى خطاب أليفاز أنه يجب على أيوب أن يعترف بخطيته ويطلب مغفرتها . ولكن نسبة التفوق الأدبي في نفسه، أنشأ بالطبع نفوراً عبّر عنه بالكلمات التالية: «المَحْزُونِ مَعْرُوفٌ مِنْ صَاحِبِهِ وَإِنْ تَرَكَ حَشِيَّةَ الْقَدِيرِ» ومعنى هذا أن أيوب يشعر بأنه إذا كان قد زلّ عن طرق الله، كما ظن أصحابه، فإنّ إظهار شيء من العواطف اللطيفة نحوه يقوّي ثقته بالله . والواقع أنّ التوبيخ الذي في غير محله حتى من المسيحيين، طالما أهلك نفوساً ثمينة . وفي تعبير آخر فإنّ أيوب يلتمس هنا حق المحزون من أصدقائه وهو التعزية . هذا حق مشروع فعلاً، لأنّ الإنسان الذي يغوص تحت الفواجع، له حق في عطف الأصدقاء، حتى ولو ترك خشية القدير، وإلا ما معنى الصداقة؟ والحق يُقال . إنّ كان على أصحاب أيوب، أن يعربوا له عن محبّتهم واهتمامهم به، في محاولة لردّه إلى الحق . لأنّ: «الْصَّدِيقُ يُجِبُّ فِي كُلِّ وَقْتٍ، أَمَّا الْأَخُ فَلِلشَّدَّةِ يُوَلِّدُ» (أمثال ١٧: ١٧) .

٦: ٢٤ عَلَّمُونِي فَأَنَا أَسْكُتُ، وَفَهَّمُونِي فِي أَيِّ شَيْءٍ ضَلَلْتُ. ٢٥ مَا أَشَدَّ الْكَلَامَ الْمُسْتَقِيمَ، وَأَمَّا التَّوْبِيخُ مِنْكُمْ فَعَلَى مَاذَا يُبْرَهْنُ؟ ٢٦ هَلْ تَحْسِبُونَ أَنْ تُوبَّخُوا كَلِمَاتٍ، وَكَلَامَ الْيَائِسِ لِلرِّيحِ! ٢٧ بَلْ تُلْقُونَ عَلَى الْيَتِيمِ وَتَحْفَرُونَ حُفْرَةً لِصَاحِبِكُمْ! ٢٨ وَالْآنَ تَفَرَّسُوا فِيَّ، فَإِنِّي عَلَى وُجُوهِكُمْ لَا أَكْذِبُ. ٢٩ ارْجِعُوا. لَا يَكُونَنَّ ظُلْمٌ. ارْجِعُوا أَيْضاً. فِيهِ حَقِّي. ٣٠ هَلْ فِي لِسَانِي ظُلْمٌ أَمْ حَنْكِي لَا يُمَيِّزُ فَسَاداً؟

إنَّ قلب المؤمن، يتحوّل بنفس راضية عن كل قدرة بشرية، مهما كانت مخلصمة. ويدعو صديقاً واحداً، لم تستطع سيول الدينونة أن تطفئ محبته، ولم تقدر تيارات الغضب أن تغمرها. هذا الصديق هو ربنا يسوع المسيح ذاك المحب الألّزق من الأخ. لقد التفت أيوب إلى أصحابه، يلتمس تعزية كعاداته فلم يجد. لهذا بادروهم بتوبيخ جارح، وعزا إجحامهم إلى كون نفوسهم عافت منظره الكريه. لقد اعتبروه مصاباً من الله، وكان الله يغضب عليهم إن اهتموا به. مثله كالأبرص في عرف ناموس موسى، يجب عزله عن الجميع، وإجباره على العيش خارج المحلة ليعاني قساوة الوحشة.

فتّش عن مياه المؤاساة المنعشة، فلم يجدها فيهم. وكانت قلوبهم جافة وباردة، كمجرى جدول الجبل الجاف. رأى أصحابه

ضربته ففزعوا. فقد اقشعروا من مصابه واعتبروه قصاصاً إلهياً على خطيئته، فخافوا من أن يظهروا له شيئاً من العطف. ثم سألمهم أن يروه في أيّ شيء أخطأ وأن يعاملوه بالعدل ويكلموه بالاستقامة. أجل إنه لم يطلب منهم عوناً مادياً، ولكنه توقع في أن يواسوه برقيق الكلام فلم يفعلوا، بل صدرت منهم تلميحات ضد استقامته. ولهذا تحدّاهم بعنف قائلاً: «فَهْمُونِي فِي أَيِّ شَيْءٍ ضَلَلْتُ؟» ولكن في هذا لم يكن أيوب مصيباً، لأنه تجاسر مرة أخرى أن يغيّر شهادة الله عن الإنسان، حين قال: «الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ» (رومية ١٢: ٣).

إنّ تلميحات الأصحاب لم يكن لها وزن، ولم تؤثر في نفس أيوب. وإذا كان قد تكلم بشدّة، فالواجب عليهم أن يتذكروا حزنه وأن يتساهلوا مع رجل واقع في مثل هذه الضيقات. لقد وبّخهم فعلاً على تصرفهم القاسي الخالي من الشعور، كالذين يجورون على اليتيم ويضرون الأصحاب. والتمس منهم أن يعاملوه بالصفة والصراحة، لأنه لا يكذب عليهم. ويطلب إليهم أن يتحوّلوا عن حكمهم الجائر فيه، لأنّه لا يوجد ظلم في كلامه. ويقدر أن يرى الأمور الملتوية، أي شدائده. إنه كان مثلهم قادراً

على تمييز الصحيح من الخطأ. ويعتبر أن الضربات التي أتت عليه كانت بلا استحقاق وبغير إنصاف. ومن هذا الموقف المتصلب أصدر حكماً أدبياً في مسأله.

الصلاة

شكراً لك يا ربنا لأجل يسوع المحي الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا. وأعطانا فكر التواضع، لنعترف بخطايانا ونؤمن بيسوع، الذي صالحنا معك بموته الكفاري، فصار لنا القدوم إليك، مُبرِّرين بالنعمة. آمين.

السؤال

١٣ - ماذا كان موقف الأصحاب من مصاب أيوب، وكيف حسبه؟

الأصحاح السابع ١ «أَلَيْسَتْ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ جِهَاداً عَلَى الْأَرْضِ، وَكَيَّامِ الْأَجِيرِ أَيَّامُهُ؟ ٢ كَمَا يَتَشَوَّقُ الْعَبْدُ إِلَى الظِّلِّ، وَكَمَا يَتَرَجَّى الْأَجِيرُ أَجْرَتَهُ، ٣ هَكَذَا تَعَيَّنَ لِي أَشْهُرُ سُوءٍ، وَلِيَالِي شَقَاءٍ قُسِمْتُ لِي. ٤ إِذَا اضْطَجَعْتُ أَقُولُ مَتَى أَقُومُ. اللَّيْلُ يَطُولُ وَأَشْبَعُ قَلَقاً حَتَّى الصُّبْحِ. ٥ لَيْسَ لِحَمِي الدُّودُ مَعَ الطِّينِ. جِلْدِي تَشَقَّقُ وَتَقْيَحُ. ٦ أَيَّامِي أُسْرِعُ مِنَ الْمَكُوكِ، وَتَنْتَهِي بِغَيْرِ رَجَاءٍ. ٧ «أَذْكَرُ أَنَّ حَيَاتِي إِنَّمَا هِيَ رِيحٌ وَعَيْنِي لَا تَعُودُ تَرَى حَيْرًا. ٨ لَا تَرَانِي عَيْنُ نَاطِرِي. عَيْنَاكَ عَلَيَّ وَلَسْتُ أَنَا! ٩ السَّحَابُ يَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ. هَكَذَا الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى

أَلْهَوِيَّةٍ لَا يَضَعْدُ. ١٠ لَا يَرْجِعُ بَعْدُ إِلَى بَيْتِهِ وَلَا يَعْرِفُهُ مَكَانُهُ بَعْدُ.

في هذا القسم من خطابه، ينظر أيوب ويوسع مجال النظر. ويرى أن آخرين أيضاً متألّمون، وأن الإنسان ضعيف عن احتمال أتعاب الحياة. ينظر بفراصة جديدة إلى ميدان الحياة البشرية الواسع، ويعرف مبلغ شقائها ويؤسها بما أصابه منها. إنه يستمر في جوابه لأليفاز. مجدداً صراخ اليأس، ومشيراً إلى شدة ضعف الحياة البشرية. وفي تشبيهات مؤثرة، يذكر مشقات الناس. ويصور الحياة كأنها جهاد شاق مستمر.

وبالإجمال شبّه الإنسان بالأجير. الذي يعمل تحت حكم مطلق، وخدمته إجبارية. وهذا الأجير، يتشوق إلى الظل الذي يعقب غروب الشمس، حيث تنتهي أتعاب النهار ويتسلم الأجير أجرته اليومية. وخلاصة قوله إنَّ حياة الإنسان، كحياة الأجير، إذ ليس فيها كبير فرح أو راحة. ولا يستطيع أيوب أن يفكر في راحة أحلى، أو أجرة أثن من أن تمضي الأيام سريعاً، فيستريح في القبر. وهل هذا غريب، حين لا تحوي الحياة سوى أيام تعب ومرض وليالي أرق؟ ويجب أن لا نندهش أن يفكر أيوب هكذا، لأنه وُجد قبل أن أنار يسوع الحياة والخلود، وقبل أن يرسل الروح القدس، مقويًا ومعزيًا ومرشدًا إلى جميع الحق.

ثم يمضي أيوب في رثاء نفسه، فيقول: هكذا تعين لي أشهر سوء، وليالي شقاء قسمت لي. بمعنى أن حياته لم تكن كما اشتهى، فهي أشهر قاسية ليلها أشد المأ من نهارها. وشر ما في مرضه أنه كان يرى دوداً صغيراً ينخر في لحمه فيسبب له آلاماً لا تطاق.

٧: ١١ أَنَا أَيْضاً لَا أَمْنَعُ فَمَي . أَتَكَلَّمُ بِضِيقِ رُوحِي . أَشْكُو بِمَرَارَةِ نَفْسِي . ١٢ أَبْحُرُّ أَنَا أُمُّ تَنِينٍ حَتَّى جَعَلْتَ عَلَيَّ حَارِساً؟ ١٣ إِنْ قُلْتُ: فِرَاشِي يُعْزِيْنِي، مَضْجَعِي يَنْزِعُ كُرْبِي ١٤ تُرِيْعُنِي بِالْأَحْلَامِ وَتُرْهَبُنِي بِرُؤْي، ١٥ فَآخْتَارْتُ نَفْسِي الْخُنُقَ وَالْمَوْتَ عَلَى عِظَامِي هَذِهِ . ١٦ قَدْ ذُبْتُ . لَا إِلَى الْأَبَدِ أَحْيَا . كَفَّ عَنِّي لِأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ! ١٧ مَا هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَعْتَبِرَهُ وَحَتَّى تَضَعُ عَلَيْهِ قَلْبَكَ، ١٨ وَتَتَعَهَّدَهُ كُلَّ صَبَاحٍ، وَكُلَّ لِحْظَةٍ تَمْتَحِنُهُ! ١٩ حَتَّى مَتَى لَا تَلْتَفِتُ عَنِّي وَلَا تُرْحِنِي رَيْثَمَا أَبْلَعُ رِيْقِي؟ ٢٠ أَأَخْطَأْتُ؟ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ يَا رَقِيبَ النَّاسِ! لِمَاذَا جَعَلْتَنِي هَدَفًا لَكَ حَتَّى أَكُونَ عَلَى نَفْسِي جَمَلًا! ٢١ وَلِمَاذَا لَا تَغْفِرُ ذَنْبِي وَلَا تُزِيلُ إِثْمِي لِأَنِّي الْآنَ أَضْطَجِعُ فِي التُّرَابِ؟ تَطْلُبُنِي فَلَا أَكُونُ!»

يتابع أيوب مرثاته بتفجع، وإذا يستفزّه ثقل الأوجاع راح يشكو

بمرارة من المعاملة الإلهية، التي حسب ظنه حملته أكثر مما يستطيع .
ويبدو أن ضيقاته وتعاسته، التي لا رجاء فيها، ضغطت عقله فلم
يستطع أن يضبط نفسه ففرط بلسانه .

حقاً أنه ليس حسناً للإنسان أن يبالغ في الشكوى من
مصائبه، أو يتحدث عنها بلا انقطاع . لأنها بهذا تشتت وطأتها على
النفس، فتفقد صبرها . فأيوب بكلامه المستمر عن بلاياه،
وبتظلمه الدائم من أوجاعه، هيج نفسه حتى تجاسر وتكلم عن
الله بقلة احترام . قال في العدد ١٧ و ١٨ ما معناه أنه لا يليق
بالله العظيم الجليل، أن يتنازل حتى يراقب الإنسان التافه ويخطط
له . ألم يكن أولى به، أن يتركه وشأنه؟ وكأنه يقول: ماذا يمكن أن
تعني خطية صغيرة يرتكبها إنسان ضعيف بالنسبة للرب الإله
المتعالى؟ لماذا لا يغفرها له حالاً . قبل أن يطويه الردى؟

إنَّ حكمة أيوب هذه يتردد صداها في عصرنا، حيث يكثُر
الطامعون في رحمة الله، والقائلون: حاشا لله أن يعذب إنساناً!
صحيح أن الله رحوم، ورحمته تتمهل على الإنسان لكي تقتاده إلى
التوبة . ولكن قساوة القلب، كثيراً ما تحول دون الإنسان والتوبة .
وبذلك يثير غضب الله ويوقع نفسه تحت الدينونة .

يعلّمنا الإنجيل أن الله محب، بصورة فائقة كجلاله الأقدس .

وقد عبّر عن محبّته بالفداء، بموت يسوع المسيح على الصليب .
 «لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (يوحنا
 ٣: ١٦) . بمعنى أنّه يكفي الخطيئ الأثيم أن يقبل يسوع مخلصاً،
 ويترك الخطية، لكي يحصل على فوائد الفداء، كغفران الخطايا
 والتبرير، وأخيراً الحياة الأبدية السعيدة .

الصلاة

نشكرك يا إلهنا الصالح، لأنك أحببت الإنسان منذ البدء ولأنك تترأف
 ولا تشاء أن يهلك أحد، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة . ونشكرك لأنك تقبل
 توبتنا، وتغفر خطايانا . زد إيماننا بالفداء، وانعم بمراحمك على الجميع .
 آمين .

السؤال

١٤ - ماذا كانت نتيجة كلام أيوب عن بلاياه وتظلمه الدائم من أوجاعه؟

الأصحاح الثامن ١ فَأَجَابَ بِلْدَدُ الشُّوحِيِّ: ٢ «إِلَى مَتَى تَقُولُ هَذَا
 وَتَكُونُ أَقْوَالُكَ رِيحاً شَدِيدَةً! ٣ هَلِ اللَّهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ أَوِ الْقَدِيرُ يَعْكُسُ
 الْحَقُّ؟ ٤ إِذْ أَخْطَأَ إِلَيْهِ بُنُوكَ دَفَعَهُمْ إِلَى يَدِ مَعْصِيَتِهِمْ. ٥ فَإِنْ بَكَرْتَ
 أَنْتَ إِلَى اللَّهِ وَتَضَرَّعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ - ٦ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ زَكِيّاً مُسْتَقِيمًا، فَإِنَّهُ
 الْأَنَ يَتَنَبَّهُ لَكَ وَيُسَلِّمُ مَسْكَنَ بَرِّكَ. ٧ وَإِنْ تَكُنْ أَوْلَاكَ صَغِيرَةً فَأَخْرَجَتْكَ

تَكْتُرُ جِدًّا .

في رده على أيوب، اتخذ بلدد الشوحي وجهة نظرٍ أخرى . فإنَّ أيوب كان قد أبان أنَّ دعواه عادلة، وإنَّه لم يتكلَّم في غير حق (٦ : ٢٩-٣٠) وفي الأصحاح السابع نسب الله أنَّه أبقاه في العبودية . فجواباً على ذلك يؤكِّد بلدد أنَّ الله يعمل بتمييز وإدراك . أي أنَّه يكافئ البار ويعاقب الشرير . ويتعجَّب من أنَّ أيوب يتَّهم الله بعدم الإنصاف .

وقد حرص بلدد في كلمته على الاستشهاد بأقوال الحكماء . وبدأ خطابه بتوبيخ أيوب، من أجل كلماته الطائشة . وقد شبَّه كلامه بالريح الشديدة، لأنَّه أطلقه بحدَّة، منتقداً معاملات الله معه خاصة، ومع جميع البشر عامة . وبعد أن حمل على كلام أيوب، الذي به نسب إلى الله تعويج القضاء، أشار إلى مصرع أبنائه بخشونة . إذ قال إنَّهم زرعوا شراً، وكان لا بدَّ أن يحصدوا وبالاً . أي أنَّهم أخطأوا فدفعهم الله إلى يد معصيتهم، أي العقاب الذي استوجبه خطيئتهم . ثم وجَّه كلامه إلى أيوب وحثَّه على التوبة والزكوة والاستقامة، لينتبه الله إليه . ويكافئ توبته، بأن يعطيه النعمة ليعمل مسكنه مسكن بر .

٨:٨ «إِسْأَلِ الْقُرُونَ الْأُولَى وَتَأَكَّدْ مَبَاحِثَ آبَائِهِمْ. ٩ لِأَنَّنا نَحْنُ مِنْ أَمْسٍ وَلَا نَعْلَمُ، لِأَنَّ أَيَّامَنَا عَلَى الْأَرْضِ ظِلٌّ. ١٠ فَهَلَّا يُعْلِمُونَكَ. يَقُولُونَ لَكَ وَمِنْ قُلُوبِهِمْ يُخْرِجُونَ أَقْوَالَ قَائِلِينَ ١١ هَلْ يَنُمُو الْبَرْدِيُّ فِي غَيْرِ الْمُسْتَنْقَعِ، أَوْ تَنْبُتُ الْحُلْفَاءُ بِلَا مَاءٍ؟ ١٢ وَهُوَ بَعْدُ فِي نَضَارَتِهِ لَمْ يَقْطَعْ وَيَبْسُ قَبْلَ كُلِّ الْعُشْبِ. ١٣ هَكَذَا سُئِلَ كُلُّ النَّاسِينَ اللَّهُ، وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ، ١٤ فَيَنْقَطِعُ اعْتِمَادُهُ، وَمَتَّكَلُهُ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ! ١٥ يَسْتَنْدُ إِلَى بَيْتِهِ فَلَا يَثْبُتُ. يَتَمَسَّكُ بِهِ فَلَا يَقُومُ. ١٦ هُوَ رَطْبٌ تَجَاهَ الشَّمْسِ وَعَلَى جَنَّتِهِ تَنْبُتُ أَعْصَانُهُ. ١٧ وَأُصُولُهُ مُشْتَبِكَةٌ فِي الرُّجْمَةِ فَتَرَى مَحَلَّ الْجِجَارَةِ. ١٨ إِنْ أَقْتَلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ يَجِدُهُ قَائِلًا: مَا رَأَيْتُكَ. ١٩ هَذَا هُوَ فَرَحُ طَرِيقِهِ وَمِنْ التُّرَابِ يَنْبُتُ آخَرَ.

يستند بلدد إلى التقليد، ويتقدم إلى إثبات صحته بالإشارة إلى اختبار الأجيال السالفة. ورأيه هنا ليس جديداً، فإنَّ الحكماء الأقدمين تمسكوا به. ويقتبس مثلاً شائعاً أنَّ البردي والحلفاء لا يمكن أن ينموا في غير الغمقة والماء، وإلا فإنهما يموتان حالاً. كذلك عندما ينسى الناس الله، فإنهم يهلكون هلاكاً عادلاً. في الواقع أنَّ الإنسان بدون نعمة الله، يكون بلا رجاءٍ فيجف وييبس روحياً.

تشبيهه آخر، إنَّ بيت الفاجر، وإن كان من حجارة متينة
ولصاحبه رجاء بأنَّه هو ونسله يسكنون فيه إلى الأبد، فهو في نظر
الله أوهى من بيت العنكبوت .

والفاجر يشبهه أيضاً بيقطينة يونان، في مكان معرَّض للشمس
وأصولها مثبتة في الرجمة . فقد تنمو خراعيبيها، ولكن ما أن تهب
عليها ريح خمسينية، حتى تذبل وتيبس . هكذا رجاء الفاجر، لا
ينجيه لأنَّه ليس في الله ولهذا ينهار سريعاً .

أمَّا رجاء المؤمن، فهو موضوع على الربِّ الحي . صحيح أنَّه
تعالى يسمح أن نُجربَّ لامتحان إيماننا، ولكنَّ امتحان الإيمان
يزكِّي الصبر ويشدّد الرجاء، والرجاء لا يخزي . لأنَّه يتطلع إلى
وعود الله، ويتوقَّع خيراً قادماً بالصبر، الذي تشيعه محبة الله
المنسكبة في القلب بالروح القدس .

صحيح أنَّ طريقنا خشنة وطويلة، لكنَّ المسيح فينا رجاء
المجد . والمسيح آتٍ، وسيُكافئ رجاء كل الذين انتظروه . ولعلَّه
بوحى من هذه الحقيقة، قال الرسول بولس: « لِأَنَّنا بِالرَّجاءِ
خَلَّصنا » (رومية ٨: ٢٤) .

٨: ٢٠ «هُودًا اللَّهُ لَا يَرْفُضُ الْكَامِلَ وَلَا يَأْخُذُ بِيَدِ فَأَعْلِي الشَّرِّ . ٢١

عِنْدَمَا يَمْلَأُ فَمَكَ ضِحْكَاً وَشَفَتَيْكَ هُتَافاً، ٢٢ يَلْبِسُ مُبْغِضُوكَ خِزْيَاً.
أَمَّا خَيْمَةُ الْأَشْرَارِ فَلَا تَكُونُ» .

هكذا ختم بلدد خطابه، قائلاً خلاصة تعليم القدماء إن الله لا يرفض الكامل بل يأخذ بيده . وقد قال: «لَأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الْمُمْسِكُ بِيَمِينِكَ، الْقَائِلُ لَكَ: لَا تَخَفْ . أَنَا أُعِينُكَ . . . أَنَا الرَّبُّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكْ بِيَدِكَ وَأَحْفَظْكَ وَأَجْعَلَكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلْأُمَّمِ» (إشعياء ٤١: ١٣، ٤٢: ٦) أمّا الأشرار الذين يصرون على شرورهم فيهلكون . هكذا قال المسيح: « إِنْ مَ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ» (لوقا ١٣: ٣) وهذا ما دعا بلدد أيوب إليه أن يتوب ويرجع إلى الله، فيغدق الله عليه السرور والضحك والهتاف، عوضاً عن الحزن والتذمر، ويخزي مبغضوه عندما يرون رجوعه إلى حاله الأولى.

الصلاة

شكراً لك يا إلهنا، من أجل نعمة الرجاء الحي . املاً قلوبنا بهذا الرجاء، حتى نعيش في سلام . جدد توبتنا إليك بفعل الروح القدس . أعطنا القوة حتى نلاحظ سيرتنا، ونسلك كأولاد نور في بر وصلاح وحق . آمين .

السؤال

١٥ - بِمَ شَبَّهَ بِلَدَدِ بَيْتِ الْفَاجِرِ؟

الأصحاح التاسع ١ فَقَالَ أَيُّوبُ: ٢ «صَحِيحٌ. قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَذَا.
فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟ ٣ إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَاجَّهُ لَا يُجِيبُهُ عَنْ وَاحِدٍ
مِنْ أَلْفٍ. ٤ هُوَ حَكِيمٌ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ. مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟
٥ الْمُرْزُحُ الْجِبَالِ وَلَا تَعْلَمُ. الَّذِي يُقْلِبُهَا فِي غَضَبِهِ، ٦ الْمُرْزُوعُ الْأَرْضَ
مِنْ مَقَرِّهَا فَتَنْزَلُ أَعْمِدَتَهَا، ٧ الْأَمْرُ الشَّمْسِ فَلَا تُشْرِقُ وَيَخْتِمُ عَلَى
النُّجُومِ. ٨ الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحَدَهُ وَالْمَاشِي عَلَى أَعَالِي الْبَحْرِ. ٩
صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجَبَابِرِ وَالْتُرْيَا وَمَخَادِعِ الْجُنُوبِ. ١٠ فَاعِلُ عَظَائِمَ لَا
تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ.

إنَّ جواب أيوب لبلدد، فيه صعوبات كثيرة. فإنَّه يبتدئ
بموافقة أصحابه، على أنَّه ما من إنسان يستطيع، أن يكون باراً
أمام الله. حتى إنَّ البراءة، التي يظن الإنسان أنها بلا عيب،
تخرس أمام جلال الله القدوس. وأيضاً تصور أيوب إنَّه هو تقابل
مع الله في محاجة، فإنَّه يشك في أنَّه سيجد استماعاً مترافقاً.
وحتى لو وجد بلا خطية، فليس في وسعه أن يجاب الله.

الصعوبة في أمر أيوب، هي أنه اعتقد في نفسه أنه بار. وتبعاً
لذلك استنتج أنَّ الله مع علمه بیره، يتعمد معاملته كمنذب.

وإنَّ اللهَ إذا شاء أن يحاجه، فلا يشاء أن يجيبه عن واحد من ألف .
وبذلك ينظر إلى الله، كأنه حاكم مطلق، وليس قاضياً عادلاً . وهذا
كلام، يدل على عدم التسليم لله .

ولعل أيوب لم يأت خبر إعلان الله القائل : « هَلُمَّ نَتَحَاجِجْ ، يَقُولُ
الرَّبُّ . إِنَّ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقَرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلَاجِ . إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ
كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ » (إشعياء ١: ١٨) .

ثم يقدم أيوب وصفاً جميلاً لجلال الله وقوته، كما يُريان في عالم
الطبيعة، كقوة لا حد لها كما ترى في زحزحة الجبال وزعزعة الأرض
وتنظيم الكواكب وضبط البحار .

وقد نلتمس بعض العذر لأيوب في ضجره، لأنَّ طاقة الإنسان
في الاحتمال محدودة وضعيفة . ولكن أن يتحول الضجر إلى تعريض
بعدالة الله، فهذا أمر يدعو إلى الأسف . لأن الله عادل وبار في
سياسته للبشر . إنه يراقب سلوكنا، بقدر ما يرثي لضعفاتنا . وهو
يلونا ليجردنا من استعلائنا، حتى نسلك بتواضع .

٩ : ١١ « هُوَذَا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلَا أَرَاهُ ، وَيَجْتَازُ فَلَا أَشْعُرُ بِهِ . ١٢ إِذَا خَطَفَ
فَمَنْ يَرُدُّهُ ، وَمَنْ يَقُولُ لَهُ : مَاذَا تَفْعَلُ ؟ ١٣ اللَّهُ لَا يَرُدُّ غَضَبَهُ .
يُنْحِنِي تَحْتَهُ أَعْوَانُ رَهَبٍ . ١٤ كَمْ بِالْأَقْلِّ أَنَا أَجَابِيهِ وَأُخْتَارُ كَلَامِي

مَعَهُ . ١٥ لِأَنِّي وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لَا أَجَابُ ، بَلْ أَسْتَرْحِمُ دِيَّانِي . ١٦ لَوْ
دَعَوْتُ فَاسْتَجَابَ لِي لِمَا آمَنْتُ بِأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتِي . ١٧ ذَاكَ الَّذِي
يَسْحَقُنِي بِالْعَاصِفَةِ وَيَكْتَبِرُ جُرُوحِي بِلَا سَبَبٍ . ١٨ لَا يَدْعُنِي أَخْذُ
نَفْسِي ، وَلَكِنْ يُشْبِعُنِي مَرَائِرَ . ١٩ إِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ الْقَوِيِّ
يَقُولُ : هُنَذَا . وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ يَقُولُ : مَنْ يُحَاكِمُنِي ؟ ٢٠
إِنْ تَبَرَّرْتُ يُحْكَمُ عَلَيَّ فَمِي ؟ وَإِنْ كُنْتُ كَامِلًا يَسْتَدْنِبُنِي .

بعد أن تكلم أيوب عن خلائق الله غير الناطقة، تقدّم إلى ذكر
أعماله مع الإنسان . فقال إنَّ الإنسان، لا يراه ولا يشعر به . ولكنَّ
الله يعمل ولا يقاوم، ويفعل ولا يحاسب على أعماله . حتى إنَّ
أعداء رهب، ينحنون أمام قوة الله .

رَهَبُ هُوَ التَّيْنِ ، وَيَشِيرُ هُنَا إِلَى جَبْرُوتِ مِصْرَ قَدِيمًا . وَلَعَلَّ
الإِسْمَ أُطْلِقَ عَلَى مِصْرَ ، أَوَّلًا لِكِبْرِيائِهَا ، وَثَانِيًا لَوْجُودِ التَّيْنِ أَوْ
الْتِمْسَاحِ فِي النِّيلِ . وَلَكِنْ قُوَّةُ اللَّهِ تَقْمَعُ كُلَّ جَبْرُوتٍ . فَإِنْ كَانَ
الْجَبَابِرَةُ ، يَفْشَلُونَ أَمَامَ قُوَّةِ اللَّهِ ، فَكَيْفَ يَرْجُو أَيُوبُ النِّجَاحَ فِي
مُحَاجَّتِهِ مَعَهُ ؟ وَالْوَاقِعُ أَنَّ أَيُوبَ بَعْدَ التَّأْمَلِ فِي عِظْمَةِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ
فِي الخَلِيقَةِ وَسُلْطَتِهِ عَلَى البِحَارِ وَجَمِيعِ القُوى الطَّبِيعِيَّةِ ، قَالَ : « كَم
بِالأَقْلِ أَنَا أَجَابُوه » وَمَعَ ذَلِكَ فَمِى حَيْرَتِهِ يَنْسَبُ أَيُوبَ إِلَى اللَّهِ عَدَمَ
الإِنصَافِ . وَيُظَنُّ أَنَّهُ مُسْتَبَدٌّ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَامِلًا يَسْتَدْنِبُهُ .

٩: ٢١ «كاملٌ أنا. لا أبالي بنفسِي. رذلتُ حياتِي. ٢٢ هِيَ وَاحِدَةٌ. لَذَلِكَ قُلْتُ إِنَّ الْكَامِلَ وَالشَّرِيرَ هُوَ يُفْنِيهِمَا. ٢٣ إِذَا قَتَلَ السَّوْطُ بَغْتَةً يَسْتَهْزِئُ بِتَجْرِبَةِ الْأَبْرِيَاءِ. ٢٤ الْأَرْضُ مُسَلِّمَةٌ لِيَدِ الشَّرِيرِ. يُعْشِي وَجُوهَ قَضَاتِهَا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ، فَإِذَا مَنْ؟ ٢٥ أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنْ عَدَائِي، تَفِرُّ وَلَا تَرَى خَيْرًا. ٢٦ تَمُرُّ مَعَ سُنَنِ الْبَرْدِيِّ. كَنَسِرُ يَنْقُضُ إِلَى صَيْدِهِ. ٢٧ إِنْ قُلْتُ: أَنَسَى كُرْبَتِي. أَطْلِقُ وَجْهِي وَأَبْتَسِمُ ٢٨ أَخَافُ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِي عَالِمًا أَنْكَ لَا تُبْرئُنِي. ٢٩ أَنَا مُسْتَدْنَبٌ، فَلِمَ إِذَا أَتَعَبُ عَبَثًا؟ ٣٠ وَلَوْ أَعْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ وَنَظَّمْتُ يَدَيَّ بِالْأَشْنَانِ، ٣١ فَإِنَّكَ فِي النَّفْعِ تَغْمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي ثِيَابِي.

هنا ينكر أيوب على بلدد قوله، إن الله يميّز في معاملته للناس بين الكامل والشرير. وبقدر ما يرى أيوب أن الأرض مسلمة ليد الشرير، والقضاة لا يحامون عن البريء، يعتبر أن الله يعاقبه خطأ. وهو يشعر أنه لم يرتكب شيئاً يستحق هذا التأديب الصارم، الذي بحسب اعتقاده أتى عليه من القدير الذي لا يلين. ويسأل بغيب قائلًا: إن لم يكن هو فإذا من؟ وهذا أعرق دركات اليأس التي وصل إليها أيوب.

حين نقرأ الفصل الأوّل من قصة أيوب، نرى أنّه فكر في ضُغفات بنيه. وقدّم ذبائح ومحرقات للتكفير عن خطاياهم، قائلًا:

«رَبِّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَيَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ» (١: ٥). ولكِنَّه لم يفكر في ضعفاته هو، ويقدم كفارة عنها، كما كان يفعل رؤساء الكهنة في العهد القديم. وهذا يدل على أنه كان باراً في عيني نفسه، متفاخراً بیره الذاتي، والتفاخر مكرهة في عيني الرب.

٩: ٣٢ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ إِنْسَانًا مِثْلِي فَأَجَاوِبُهُ فَنَأْتِي جَمِيعًا إِلَى الْمَحَاكِمَةِ .
 ٣٣ لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيَّ كَلَيْنَا! ٣٤ لِيَرْفَعَ عَنِّي عَصَاهُ وَلَا يَبْغْتَنِي رُغْبُهُ . ٣٥ إِذَا أَتَكَلَّمْتُ وَلَا أَخَافُهُ . لِأَنِّي لَسْتُ هَكَذَا عِنْدَ نَفْسِي .

هنا يرتفع أيوب بقلبه بإخلاص إلى ذلك الإله، العظيم القدرة والواسع الحلم. وينحني أمام عظمته معترفاً بحقارة نفسه. أما قوله عن المصالح، الذي اشتهى أن يتدخل بينه وبين القدير، فيدل على أنه كانت لديه رؤى عن وسيط الصلح بين الله والناس، المزمع أن يأتي عند ملء الزمان، لكي يزيل العداوة القائمة بين الخالق ومخلوقاته بسبب الخطية. فيضع إحدى يديه على الله والأخرى على الإنسان. فاشتهاه. وتمنى أن يأتي حالاً ليرفع عنه عصى التأديب.

هذه زفرات متصاعدة من قلب جريح ونفس متألمة تتوق إلى

ملاقة الله كإنسان . إذ يكون له أمل في أن تفهم علاقة الإنسان بالله فهماً جلياً . وإنه لمن سعادة البشر أن الذي اشتهاه أيوب تم في العهد الجديد . إذ جاء المصالح يسوع في جسد إنسان ، وقام بالوساطة بين الله والناس ، وانتزع العداوة بدم صليبه . فهل تقبل إلى هذا المصالح ، وتنال باسمه الصفح عن خطاياك؟ افعل هذا سريعاً لأنه «هُوَذَا الْآنَ يَوْمٌ خَلاصٍ» (٢ كورنثوس ٦: ٢) .

الصلاة

أيتها السيد الرب، نشكرك لأنك لم تتركنا في حالة العداوة معك . بل أقمتم وسيط صلح بيننا وبينك، هو يسوع المسيح، الذي قدم ذاته فدية عنا، لكي يصالحنا معك . أعطنا أن نؤمن بفضائه العظيم، ولك الشكر الدائم . آمين .

السؤال

١٧ - ما هي الرؤى التي كانت لدى أيوب؟

١٨ - بمن تمت هذه الرؤى وكيف؟

الأصحاح العاشر ١ «قَدْ كَرِهَتْ نَفْسِي حَيَاتِي . أُسَيِّبُ شَكْوَايَ . أَتَكَلَّمُ فِي مَرَارَةِ نَفْسِي ٢ قَائِلاً لِلَّهِ: لَا تَسْتَدْبِرْنِي . فَهَمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! ٣ أَحْسَنُ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ، أَنْ تَرُدَّ عَمَلَ يَدَيْكَ، وَتُشْرِقَ عَلَيَّ مَشُورَةٌ

الأشرار؟ ٤ أَلَيْكَ عَيْنَا بَشَرٍ، أَمْ كَنْظَرَ الْإِنْسَانِ تَنْظُرُ؟ ٥ أَلَيْامُكَ كَأَيَّامِ الْإِنْسَانِ، أَمْ سِنُوكَ كَأَيَّامِ الرَّجُلِ ٦ حَتَّى تَبْحَثَ عَنْ إِثْمِي وَتُفْتَشَّ عَلَى خَطِيئَتِي؟ ٧ فِي عِلْمِكَ أَنِّي لَسْتُ مُذْنِبًا، وَلَا مُتَقَدِّمًا مِنْ يَدِكَ .

الآن يعود أيوب إلى التأمل، في حالته الخاصة. ولكون شعوره ببراءته قويا، تضجّر وسئم إلى حدّ أنه كره نفسه، ثم راح يفترض فروضاً مناقضة لطبيعة الله الحقيقية. فراح يتساءل في ألفاظ لا تليق بجلال الله: هل الظلم يجلب نفعاً لله؟ أيمن تفسير معاملته الله لي بقصر النظر الإلهي، الذي معناه أن الله لا يقدر أن يرى بوضوح ما يعمل مع الناس؟ وهل يمكن أن يكون الله كالإنسان، ينظر إلى الأمور بسطحية، فيعاقب ما يشته فيه أنه خطية، قبل أن يكون عنده وقت ليمتحن القضية بتمامها؟

١٠: ٨ «يَدَاكَ كَوْنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلِّي جَمِيعًا. أَفَتَبْتَلِعْنِي؟ ٩ أَذْكَرُ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ. أَفَتُعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ؟ ١٠ أَلَمْ تَصَبِّبْنِي كَاللَّبَنِ وَخَثَّرْتَنِي كَالجُبْنِ؟ ١١ كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ. ١٢ مَنَحْتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً وَحَفِظْتَ عِنَايَتَكَ رُوحِي. ١٣ لِكِنَّكَ كَتَمْتَ هَذِهِ فِي قَلْبِكَ. عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عِنْدَكَ. ١٤ إِنْ أَخْطَأْتُ تَلَا حِطْنِي وَلَا تُبْرِئْنِي مِنْ إِثْمِي. ١٥ إِنْ أَدْنَبْتُ فَوَيْلٌ لِي.»

وَأَنَّ تَبَرَّرْتُ لَا أَرْفَعُ رَأْسِي . إِنِّي شَبَعَانُ هَوَانًا وَنَاطِرٌ مَذَلَّتِي . ١٦ وَإِنِ
أَرْتَفَعَ رَأْسِي تَضْطَادُنِي كَأَسَدٍ ، ثُمَّ تَعُودُ وَتَتَجَبَّرُ عَلَيَّ ! ١٧ تُجَدِّدُ
شُهُودَكَ تُجَاهِي وَتَزِيدُ غَضَبَكَ عَلَيَّ . مَصَائِبُ وَجَيْشٌ ضِدِّي .

من أعماق يأسه وفي غمرة حيرته اندهش أيوب من تصرف
الحزاف الإلهي، الذي أسرف في العناية في عمل يديه، في كلا
الزمنين، قبل الولادة والسنين التي مرت بعدها. وتعجب أن
يهلكه، كأن الفخاري صنع إناءً ليكسره. لقد ذكر تكوينه من حين
حبل به إلى سن البلوغ. وذكر عناية الله ورحمته وأيام راحته
وسروره، ولعله ذكرها بالشكر. ولكن وجهتي معاملة الله له
سببتا له حيرة عظيمة، وهذه الحيرة جعلته يتراوح بين الشعور
بظلم الله الصارم نحوه الآن، وبين تذكارات الشركة المباركة معه في
الماضي. وهذا ولد عنده ما يمكن أن يُسمى بروح التذمر، لأنَّ
الله حسب ظنَّه قصد مصائبه وكتمها في قلبه. وأكثر ما أثاره هو
الظن بأنَّ الله قصد أن يلاحظه إذا أخطأ، ولا يبرئه من إثمه. ولعلَّ
أيوب في حيرته شعر بأنَّه يتعامل مع إله سريع في تدوين حتى
الخطايا التافهة. فيتململ ويبتئس، لأن بره لا ينتج أيَّ فرق. فلا
زال عليه أن يدلي رأسه مرتعباً أمام إله مبتهج كأسد مفترس
يطارده بإصرار عجيب.

١٠: ١٨ «فَلِمَآذَا أَخْرَجْتَنِي مِنَ الرَّحِمِ؟ كُنْتُ قَدْ أَسْلَمْتُ الرُّوحَ وَلَمْ تَرِنِي عَيْنٌ! ١٩ فَكُنْتُ كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فَأَقَادَ مِنْ الرَّحِمِ إِلَى الْقَبْرِ. ٢٠ أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟ أَتْرُكُ! كُفَّ عَنِّي فَأَبْتَسِمُ قَلِيلًا ٢١ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلَا أَعُودَ. إِلَى أَرْضٍ ظُلْمَةٌ وَظِلُّ الْمَوْتِ، ٢٢ أَرْضٍ ظَلَامٍ مِثْلَ دُجَى ظِلِّ الْمَوْتِ وَبِلَا تَرْتِيبٍ، وَإِشْرَاقِهَا كَالدُّجَى.»

هذه الآيات ١٨-٢٢ تَكُونُ فقرة مثيرة تصور لنا أيوب وقد صار إلى حال اليأس . فيتعجب لأي سبب أعطاه الله حياة . ويطلب الراحة قليلاً من أوجاعه العنيفة، وشيئاً من التعزية، قبل أن يجوز إلى أرض الظلمة وظل الموت .

قد يظن البعض بعد قراءة الأصحاحين ٩ و ١٠ أن أيوب قد خطأ خطوته الأولى في التجديف على الله، كما قال الشيطان أنه يقع . ولكن الأمر ليس كذلك . لأنه لم ينس أن الله كان محسناً إليه، وإن ظهر الآن أنه يتخذ موقفاً مخالفاً لذلك .

ما هو شعورك نحو تعامل الله معك؟ هل تحقر تأديبه أو تيأس إذا وبخك؟ قبل أن تتخذ أيّ موقف اذكر أن التأديب دليل المحبة كما هو مكتوب: «الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ.» .
 إِنَّ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلِكُمْ اللَّهُ كَالْبَنِينَ . فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلَا تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَانْتُمْ

نُعُولَ لَا بُنُونَ . ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّينَ ، وَكُنَّا نَهَايَهُمْ . أَفَلَا نَخْضَعُ بِالْأُولَى جِدًّا لِأَبِي الْأَرْوَاحِ ، فَنَحْيَا؟ لِأَنَّ أَوْلِيَّكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ ، وَأَمَّا هَذَا فَلِأَجْلِ الْمُنْفَعَةِ ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ . وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ . وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمْرَ بَرٍّ لِلسَّلَامِ»
(عبرانيين ١٢: ٦-١١) .

ونلاحظ هنا أنه يمكن للمؤمن أن يتخذ حيال التأديب أحد
المواقف التالية:

الأول: أن يحتقر تأديب الرب، أي أنه يستهين به، فإذا كان
التأديب احتقاراً أو تعبيراً من الناس يقول: إني لا أبالي بأفكار الناس .
الثاني: أن يخور إذا وبَّخه الرب . فترتخي يدها . ويفشل عكس
الأولى . ولكن كليهما ليسا من الإيمان .

الثالث: أن يتدرب بالتأديب وهذا هو الطريق الصحيح . الواجب
أن يتبعه كل مؤمن يجيزه الله في التأديب . فهو لا يحتقره ولا ينوء تحته ،
بل يحتمل ويتعلم الدروس ، التي شاء الله أن يعلمه إياها . ملتجئاً إليه
لطلب الإرشاد والعون و متمسكاً بنعمة الله ورحمته .

الصلاة

يا إلهنا الصالح، أنت أبونا وتحبنا، وتشاء أحياناً أن تؤدبنا . فشكرك يا

إنهنا لأجل التأديب الذي تسمح به محبتك، أعطنا روح الطاعة، لكي لا نحتقر
التأديب. وأعطنا الحكمة لكي نتدرب بالتدريب ونحصل على ثمر بر السلام.
آمين.

السؤال

١٩ - ماذا كانت نتيجة تأمل أيوب في حالته الخاصة؟

الأصحاح الحادي عشر ١ فَأَجَابَ صُوفِرُ النَّعْمَاتِي: ٢ «أَكْثَرُ الْكَلَامِ لَا
يُجَابُ، أَمْ رَجُلٌ مِهْذَارٌ يَتَبَرَّرُ؟ ٣ أَصَلَفَكَ يُفْجِمُ النَّاسَ، أَمْ تَلْعُوَ وَلَيْسَ
مَنْ يُخْزِيكَ؟ ٤ إِذْ تَقُولُ: تَعْلِيمِي زَكِيٌّ وَأَنَا بَارٌّ فِي عَيْنَيْكَ. ٥ وَلَكِنْ يَا
لَيْتَ اللَّهُ يَتَكَلَّمَ وَيَفْتَحُ شَفْتَيْهِ مَعَكَ ٦ وَيُعْلِنُ لَكَ خَفِيَّاتِ الْحِكْمَةِ! إِنَّهَا
مُضَاعَفَةُ الْفَهْمِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَغْرَمُكَ بِأَقْلٍ مِنْ إِثْمِكَ. ٧ «أَلَيْ عُمَقِ اللَّهِ
تَتَّصِلُ، أَمْ إِلَى نِهَايَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ ٨ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ، فَمَاذَا
عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعْمَقُ مِنَ الْهَوَايَةِ، فَمَاذَا تَدْرِي؟ ٩ أَطُولُ مِنَ الْأَرْضِ
طُولُهُ وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ. ١٠ إِنْ بَطَشَ أَوْ أَغْلَقَ أَوْ جَمَعَ، فَمَنْ يَرُدُّهُ؟ ١١
لِأَنَّهُ هُوَ يَعْلَمُ أَنْاسَ السُّوءِ وَيُبْصِرُ الْإِثْمَ، فَهَلْ لَا يَنْتَبِهُ؟ ١٢ أَمَّا الرَّجُلُ
فَقَارِعٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ، وَكَجَحْشٍ الْفَرَا يُولَدُ الْإِنْسَانَ.

يبدو أن كثرة كلام أيوب عن كماله، حملت صوفر على
توبيخه. ناعتاً إياه بالمهذار، الذي يرسل الكلام على عواهنه. ولعل

أيوب أثاره بالأكثر بسبب طلبه إلى الله أن يدخل معه في المحاجة .
فحسب تصرفه هذا نوعاً من القحة (الوقاحة) . وقد تمّنى صوفراً ،
أن يتكلم الله . وكان فكره أنه إذا تكلم الله ، فلا بد أن تظهر
حكّمته في تأديب أيوب . وعندئذ سيظهر أنّ البلايا التي حاقت
به ، قليلة بالنسبة لذنبه . أي أنّ قصاصه ، أخف مما كان يستحق .

وفي معرض الكلام عن حكمة الله طرح صوفراً سلسلة من
الأسئلة على أيوب ، فيها إشارة إلى عظمة صفات الله وأبعاد
حكّمته: أيمكنك وأنت الإنسان الضعيف ، أن تكتشف أعماق
الله؟ أفي مقدورك وأنت السطحي المعرفة ، أن تدرك أبعاد حكمة
القدير ، التي هي أرفع من السموات فكيف تصل إليها؟ إنها أعمق
من الهاوية ، فكيف تستطيع أن تسبر غورها؟ إنها أطول من الأبد
فكيف يمكنك أن تقيسها؟ إنها أوسع من العالم ، فكيف تستطيع
أن تلم بها؟

هذه الحكمة عينها هي ، التي تصدر الحكم الصحيح على
الإنسان عبد التراب . وحكمها عادل ومنزّه عن الهوى وكل
خطأ . لذلك على أيوب وكل إنسان أن يتأدّب ، ويتهدّب على
يدي هذه الحكمة ، ولا ضير عليه إذا تلقى الترويض في مدرسة الألم .
وهناك رجاء خير لكل من يتدرب على يدي حكمة الله ، إن

هو احتمال التأديب بمحبة. لأن الله يعامله آئذ كابن، وتكون النتيجة الاشتراك في قداسة الله (عبرانيين ١٢: ١٠) أما الذي يرفض التأديب، فيشبهه صوفر بجحش الفراء. لأنه كما أن هذا الحيوان عنيد وسريع الجري، هكذا الإنسان الغبي، سريع في زيغانه وعنيد في ابتعاده عن الله.

١١: ١٣ «إِنْ أَعْدَدْتَ أَنْتَ قَلْبَكَ وَبَسَطْتَ إِلَيْهِ يَدَيْكَ. ١٤ إِنْ أَبْعَدْتَ الْأَيْمَ الَّذِي فِي يَدِكَ وَلَا يَسْكُنُ الظُّلْمُ فِي حَيْمَتِكَ، ١٥ حِينَئِذٍ تَرْفَعُ وَجْهَكَ بِلا عَيْبٍ وَتَكُونُ ثَابِتًا وَلَا تَخَافُ. ١٦ لِأَنَّكَ تَنْسَى الْمَشَقَّةَ. كَمِيَاهِ عَبْرَتٍ تَذْكُرُهَا. ١٧ وَفَوْقَ الظَّهِيرَةِ يَقُومُ حَظُّكَ. الظَّلَامُ يَتَحَوَّلُ صَبَاحًا. ١٨ وَتَطْمَئِنُّ لِأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءٌ. تَتَجَسَّسُ حَوْلَكَ وَتَضْطَجِعُ آمِنًا. ١٩ وَتَرَبِّضُ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى وَجْهِكَ كَثِيرُونَ. ٢٠ أَمَّا عُيُونُ الْأَشْرَارِ فَتَتَلَفُ وَمَلْجَأُهُمْ يَبِيدُ، وَرَجَاؤُهُمْ تَسْلِيمُ النَّفْسِ».

قبل أن ينهي صوفر خطابه، دعا أيوب إلى التوبة. فحثه على أن يترك كل خطية معروفة. ثم صور له المجازاة. التي ينالها التائب من الله. وفي مقدمتها استعادة الإنسان اعتباره. فإذا صار هذا فكل شيء يكون حسناً. ويعود لا يزعجه خوف، ولا تؤثر فيه مشقة.

لأنه كما تعبر المياه تزول مشقته، ولا تُذكر بعد. ويعود النور إلى حياته، ويسكن في أمن وسلام. ويرسم صوفر صورة جميلة عن شفاء أيوب إذا اعترف بخطيته وتاب عنها.

قد تكون طريقة صوفر في الوعظ خشنة، تخمش الشعور. إلا أنه قال الحقيقة دون مواربة، وكان على أيوب أن يتقبل العظة بالمحبة، التي تحتمل كل شيء. وفي الحق أنه كان مخلصاً في نصيحته لأيوب. وغايته نبيلة، لأنه قصد أن يقتنع أيوب، بأنه قدام الله لا يتبرر ذو جسد.

أما المشكلة بين أيوب وأصحابه، فهي محاولة التوفيق بين ضمير الإنسان وأحكام الله. فضمير أيوب حكم أنه لم يفعل ما يستحق تلك البلايا، التي نزلت به. بقي أن نعلم، أن أيوب وأصحابه أخطأوا جميعاً لأن أحكام الله ليست كلها عقاباً للخطية. بل أن بعضها لفائدة الإنسان الروحية.

قال بولس الرسول: «أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَرْكِيَةً، وَالتَّرْكِيَةُ رَجَاءٌ، وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي، لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ أَنْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا» (رومية ٥: ٣-٥).

وعلينا أن نسلّم بأن ضمير الإنسان لا يصيب في جميع أحكامه. فأيوب مثلاً قال إنّه بلا خطية، لأنّه لم يشعر بخطية.

ولكن الله ينظر إلى القلب، الذي هو مركز الأفكار والنوايا، ويطلب الكمال. وكان ينبغي لأيوب أن يسأل الله كي يكشف له عن خطايه المستترة، فيطلب الغفران بدلاً من أن يبرر نفسه.

الصلاة

يا إلهنا الصالح، نشكرك لأنك أنت فاحص القلوب والكلى. فاكشف عن أعين أذهاننا، لكي نرى خطايانا المستترة، ونطلب إليك أن تغفرها لنا. طهر قلوبنا ونوايانا، لكي نعبدك بالحق. آمين.

السؤال

٢٠ - ماذا صنع صوفر قبل أن ينهي خطابه؟

٢١ - ما المشكلة بين أيوب وأصحابه؟

الأصحاح الثاني عشر ١ فقال أيوب: ٢ «صحيح إنكم أنتم شعبٌ ومَعَكُمْ تَمُوتُ الْحِكْمَةُ! ٣ غَيْرَ أَنَّهُ لِي فَهْمٌ مِثْلَكُمْ. لَسْتُ أَنَا دُونَكُمْ. وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِثْلُ هَذِهِ؟ ٤ رَجُلًا أَضْحُوكَةً لِصَاحِبِهِ صَرْتُ. دَعَا اللَّهُ فَاسْتَجَابَهُ. أَضْحُوكَةً هُوَ الصَّدِيقُ الْكَامِلُ. ٥ لِلْمُبْتَلِي هَوَانٌ فِي أَفْكَارِ الْمُطْمَئِنِّ، مَهِيًّا لِمَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ. ٦ خِيَامُ الْمُخْرِبِينَ مُسْتَرِيحَةٌ، وَالَّذِينَ يُعْظُونَ اللَّهَ مُطْمَئِنُونَ، الَّذِينَ يَأْتُونَ بِإِلَهُمْ فِي يَدِهِمْ!

إلى هنا أعطى أيوب انتباهاً ضئيلاً لعواطف أصحابه. والآن

يسلط كلامه في التهكم عليهم بسبب ادعائهم السطحي . بأن لهم الحق بالتكلم إليه بترفع . وقد وجد في لهجتهم ، كأن كلامهم معروف ومصداق من الناس . ومما زاد في استيائه ادعاؤهم المعرفة السامية عن أعمال الحكمة الإلهية .

كانت لهجة صوفر قد أهاجت أيوب ، وأثارت حفيظته . فحمل على أصحابه وحكم على منطقتهم بالسطحية ، مظهراً أن له بعض الفهم ، ولا حاجة له إليهم أن يكلموه عن حكمة الله وعظمته . إنه يعرف ذلك .

من ليس عنده مثل هذه ، قال أيوب؟ وبذلك أجاب على كلام صوفر في ١١: ٧-١٢ . ومعنى هذا أن أيوب يبيّن الآن معرفته لكل شيء قالوه ، عن حكمة وقوة الله . وهو عارف أن كل نفس ، هي في يد الله .

فأيوب كان قد دعا الله فاستجابه . ولكنّ المدهش أنه هو الصديق الكامل ، صار سُخرة لأصحابه . فإنهم بكلامهم الركيك وإنذارهم جعلوه رجلاً عديم المعرفة وبلا اعتبار وهذا لا يليق به .

لقد أوضح أصحاب أيوب رأيهم في معاملة الله للناس ، فقالوا إنَّ الأشرار يتألمون لا الأبرار . ولكن أيوب المبتلى ، منطلقاً من اعتقاده بيره ، أراهم أنَّ الأمر بعكس ذلك . أي أنه يغلب أن يكون

الأشرار مغیظو الله ناجحین مطمئنین . ورأى ایوب فی ذلك مناقضة . أي أن الله ینجح الذین یغیظونه .

١٢ : ٧ « فَاسْأَلِ الْبَهَائِمَ فَتَعَلِّمَنَّكَ وَطُيُورَ السَّمَاءِ فَتُخْبِرَكَ . ٨ أَوْ كَلِمَ الْأَرْضِ فَتَعَلِّمَنَّكَ وَيُحَدِّثَكَ سَمَكُ الْبَحْرِ . ٩ مَنْ لَا يَعْلَمُ مِنْ كُلِّ هَؤُلَاءِ أَنَّ يَدَ الرَّبِّ صَنَعَتْ هَذَا ! ١٠ الَّذِي بِيَدِهِ نَفْسُ كُلِّ حَيٍّ وَرُوحُ كُلِّ بَشَرٍ . ١١ أَفَلَيْسَتْ الْأُذُنُ تَمْتَحِنُ الْأَقْوَالَ كَمَا أَنَّ الْخَنَكَ يَسْتَطْعِمُ طَعَامَهُ؟ ١٢ عِنْدَ الشَّيْبِ حِكْمَةٌ ، وَطُولُ الْأَيَّامِ فَهْمٌ .

بعد كلام ایوب فی معاملة الله للناس ، وتفوق الأقویاء علی الضعفاء ، ذکر أن معاملة الله لخلائقه غیر الناطقة كمعاملته للناس . لأن فی یده نفس كل حی ، ومنه كل ما یجری من الحیاة والموت . بمعنی أن الحکمة التي افتخر بها أصحابه ، لیست لهم وحدهم . فكل الذین لهم عیون ، یستطیعون أن یروا أعمال الله فی نشاطات وحوش البریة وطيور السماء وأسماك البحر . وبعدهما ذکر ما یتعلمه الناس بالنظر إلى الخلیقة . ذکر ما یتعلمونه بواسطة الأذن من أقوال الحکماء . وما یتعلمه الناس بالأذن أوسع مما یتعلمونه بالنظر ، لأن اختبار کثیرین فی أجيال کثیرة ، أوسع من اختبار واحد فقط . وكما أن للإنسان حنکاً یمیز به الطعام ، هكذا

له ذوق أو فهم في الأمور الأدبية والروحية، ليميز الحق من الباطل .

١٣ : ١٢ «عِنْدَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ . لَهُ الْمَشُورَةُ وَالْفِطْنَةُ . ١٤ هُوَذَا يَهْدِمُ
فَلَا يُبْنَى . يُغْلِقُ عَلَى إِنْسَانٍ فَلَا يُفْتَحُ . ١٥ يَمْنَعُ الْمِيَاهَ فَتَيْبَسُ .
يُطْلِقُهَا فَتَقْلِبُ الْأَرْضَ . ١٦ عِنْدَهُ الْعِزُّ وَالْفَهْمُ . لَهُ الْمُضِلُّ وَالْمُضَلُّ .
١٧ يَذْهَبُ بِالْمَشِيرِينَ أَسْرَى وَيَحْمَقُ الْقِضَاةَ . ١٨ يَحُلُّ مَنَاطِقَ
الْمُلُوكِ وَيَشُدُّ أَحْقَاءَهُمْ بَوَائِقَ . ١٩ يَذْهَبُ بِالْكَهَنَةِ أَسْرَى وَيَقْلِبُ
الْأَقْوِيَاءَ . ٢٠ يَقْطَعُ كَلَامَ الْأَمْنَاءِ وَيَنْزِعُ ذَوْقَ الشُّيُوخِ . ٢١ يُلْقِي
هُوَناً عَلَى الشُّرَفَاءِ وَيُرْخِي مَنَاطِقَ الْأَشِدَّاءِ . ٢٢ يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ
مِنَ الظُّلَامِ ، وَيُخْرِجُ ظِلَّ الْمَوْتِ إِلَى النُّورِ . ٢٣ يَكْثُرُ الْأُمَمَ ثُمَّ
يُبِيدُهَا . يُوَسِّعُ لِلْأُمَمِ ثُمَّ يُشْتَتُّهَا . ٢٤ يَنْزِعُ عُقُولَ رُؤَسَاءِ شَعْبِ
الْأَرْضِ وَيُضِلُّهُمْ فِي تِيهِ بِلا طَرِيقٍ . ٢٥ يَتَلَمَّسُونَ فِي الظُّلَامِ وَلَيْسَ
نُورٌ وَيَرْنَحُهُمْ مِثْلَ السَّكْرَانِ .

يتصور أيوب أن قوة الله، تكتسح بدون تمييز. ومن زاوية
آلامه المبرحة، رأى أن بين الناس تمييزاً. ولكن الضالين والمضلين
عند الله على حد سواء .

القضاة والملوك والكهنة تحت سلطانه . ينزع فهم الشيوخ،
ويكشف أفكار الناس ومقاصدهم السرية، يوسع للأمم تخومهم،

ثم يضيئها، فيعمل بهم كما يشاء. يُحْمَق مشورة رؤسائهم،
 فيتلمسون في الظلام، وليس من نور هُداهم.
 كل هذا رآه أيوب وعرفه. كما زعم أصحابه أنهم يعرفونه.
 ليس هو دونهم في هذا. وقد استخدموا معرفتهم ضده، لكن
 أفكارهم ليست صحيحة. لقد اعتبرهم ملفقي كذب، مشيرين
 بطلين. كان لهم آراء عن أعمال الله في أحوال مخصوصة، أي أنه
 يعاقب الشرير. وإن أرسل مصائب على البار، يزعمون أنها كانت
 لأنه ارتكب جرماً سابقاً. فطلب أيوب أن يتركوه وشأنه. وليصبه
 مهما أصابه، فإنه يحتمله. وإن قتله الله فإنه ينتظره (١٥:٣).

الصلاة

يا ربّ إلهنا نشكرك من كل القلب، لأجل رحمتك التي هي لنا في كل
 صباح ومساء. ولأجل رحمتك الغنية بالصفح والغفران. ولأجل عنايتك التي
 ترعانا، وتهتم بنا. ولأجل نعمتك المخلصة، التي علمتنا أن ننكر الفجور، الذي
 في العالم بالشهوة. قونا في الإيمان والرجاء والمحبة. آمين.

السؤال

٢٢ - أيّ موقف اتخذه أيوب تجاه أصدقائه؟

الأصحاح الثالث عشر ١ «هَذَا كُلُّهُ رَأَتْهُ عَيْنِي. سَمِعْتُهُ أُذُنِي وَفَطِنْتُ

به . ٢ ما تعرفونه عرفته أنا أيضاً . لست دونكم . ٣ ولكي أريد أن أكلم القدير وأن أحاكم إلى الله . ٤ أما أنتم فمَلِّقُوا كَذِباً . أطباء بطالون كلُّكم . ٥ لئنيكم تَصْمُتُونَ صَمْتاً . يكون ذلك لكم حكمة . ٦ اسْمَعُوا الآن حُجَّتِي وَأَصْغُوا إِلَى دَعَاوِي شَفَتِي . ٧ اتَّقُولُونَ لِأَجْلِ اللَّهِ ظُلماً وَتَتَكَلَّمُونَ بِغِشٍّ لِأَجْلِهِ؟ ٨ أَتُحَابُونَ وَجْهَهُ ، أَمْ عَنِ اللَّهِ تُخَاصِمُونَ؟ ٩ أَخَيْرُ لَكُمْ أَنْ يَفْحَصَكُمْ ، أَمْ تُخَاتِلُونَهُ كَمَا يُخَاتِلُ الْإِنْسَانُ؟ ١٠ تَوْبِيخاً يُوَبِّحُكُمْ إِنْ حَابَيْتُمْ الْوُجُوهَ خَفِيَةً . ١١ فَهَلَّا يُرْهِبُكُمْ جَلَالُهُ وَيَسْقُطُ عَلَيْكُمْ رُغْبُهُ! ١٢ حُطِّبْتُكُمْ أَمْثَالُ رَمَادٍ ، وَحُصُونُكُمْ حُصُونٌ مِنْ طِينٍ!

يبدأ أيوب هذا الأصحاح، بالتأكيد لأصحابه أن معرفته بأمور الله ليست بأقل من معرفتهم . ثم يبدي رغبته في أن يكلم الله، ليزكي طريقه . فقد رأى كل ما رآه أصحابه وسمع كل ما سمعوه من أقوال القدماء، وفطن به وفهمه تماماً . وبعد هذه المقدمة، تحول مرة أخرى إلى توبيخ الأصحاح، متهماً إياهم بأنهم حابوا وجه الله، وتكلموا بغش بشأنه: ثم نسب إليهم تلفيق الأكاذيب وتقديم حجج مبنية على الغلط . لأنهم حكموا بأن مصائبه الثقيلة قد وقعت نتيجة لخطاياهم . وإذ برر نفسه، اعتبروه مرأئياً .

لقد جاءوا لتعزيته ولمواساته، ولكنهم لم يتفهموا أمره، وكلامهم لم يوافقهم . فكانوا كأطباء باطلين لم يعرفوا تشخيص داء المريض،

ولهذا كان علاجهم غلطاً. وبما أنهم حسب تقديره أساءوا التصرف، تمنى أن يصمتوا لأن الأحق إذا سكت، يحسب حكيماً (أمثال ١٧: ٢٨).

وبسبب الحجج الضعيفة التي قدموها في المحاماة عن جانب الله، نعتهم بالمحاباة ومختلة (ومخادعة) الله، كما يخاتل (يخادع) الإنسان. مما يجعلهم في نظر الحق، حلفاء غير صادقين لله، بل ممالقين مراوغين يستعملون محاورات ملتوية، ليسندوا قضية، ليس لأنهم نصراء الحق، بل بسبب احترامهم لأنفسهم. مثلهم في ذلك كرجل يساند مشاجراً، ليس لأن المشاجر على صواب، بل لأنه يخاف قوة ذراع ذلك المشاجر. والحق إن أصحاب أيوب، بالغوا كثيراً في قولهم إن معرفة الله تحصر أيوب وترقبه وتؤاخذه. فاعترض على قولهم قائلاً إن المعارضة لله بإخلاص، أسلم عاقبة من التعضيد غير المخلص له.

١٣: ١٣ «أَسْكُتُوا عَنِّي فَاتَكَلَّمْ، أَنَا وَلِيصْبِنِي مَهْمَا أَصَابَ . ١٤ لِمَاذَا أَخَذُ لِحْمِي بِأَسْنَانِي وَأَضَعُ نَفْسِي فِي كَفِّي؟ ١٥ هُوَذَا يَقْتُلْنِي . لَا أَنْتَظِرُ شَيْئًا . فَقَطُّ أُرَكِّي طَرِيقِي قُدَّامَهُ . ١٦ فَهَذَا يَعُودُ إِلَى خَلَاصِي أَنَّ الْفَاجِرَ لَا يَأْتِي قُدَّامَهُ . ١٧ سَمِعَا أَسْمَعُوا أَقْوَالِي وَتَصْرِيحِي

بِمَسَامِعِكُمْ . ١٨ هُنَذَا قَدْ أَحْسَنْتُ الدَّعْوَى . أَعْلَمَ أَنِّي أَتَبَرَّرُ . ١٩ مَنْ
هُوَ الَّذِي يُخَاصِمُنِي حَتَّى أَصْمَتَ الْآنَ وَأُسَلِّمَ الرُّوحَ؟

حين شعر أيوب، أن لا رجاء من أصحابه، تحول إلى الله قائلاً:
وليصبني مهما أصاب . هذه العبارة تذكرنا بقول أستير لما دخلت
على الملك أحشويرش بخلاف التقليد: «فَإِذَا هَلَكْتُ هَلَكْتُ!»
(أستير ٤: ١٦) وكلام أيوب «هوذا يقتلني لا أنتظر شيئاً» يدل على
يأسه من الشفاء من مرضه الوبيل (الشديد) . ولكنه أصرَّ على
شيء واحد، وهو أن يزكي طريقه قدام الله . ثم لم يلبث أن توهج
إيمانه فجأة في التأكيد بأن الحكم الإلهي سيكون لصالحه .
الفاجرون فقط، هم الذين يخافون في حضرة الله .

بعد هذه المرافعة البليغة، كلمَّ أيوب أصحابه من موضع قوة،
طالباً بتهوُّر من يستطيع تحدي براءته ويفلح؟! فإذا وجد مثل هذا
الشخص، فإنه لن يقول كلمة أخرى . وهذه الثقة عند أيوب،
تشبه ثقة بولس حين قال: «مَنْ سَيُشْتَكِي عَلَيَّ مُخْتَارِي اللَّهِ؟»
(رومية ٨: ٣٣) .

١٣ : ٢٠ إِنَّمَا أَمْرَيْنِ لَا تَفْعَلْ بِي فَحِينَئِذٍ لَا أَحْتَفِي مِنْ حَضْرَتِكَ . ٢١
أُبْعِدْ يَدَيْكَ عَنِّي وَلَا تَدْعُ هَيْبَتَكَ تُرْعِبُنِي ٢٢ ثُمَّ أَدْعُ فَإِنَّا أُجِيبُ أَوْ

أَتَكَلَّمُ فَتَجَاوِبُنِي . ٢٣ كَمْ لِي مِنَ الْأَثَامِ وَالْخَطَايَا . أَعْلِمْنِي ذَنْبِي
 وَخَطِيئَتِي . ٢٤ لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ وَتَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَكَ؟ ٢٥ أَتُرْعِبُ
 وَرَقَةً مُنْدَفَعَةً وَتُطَارِدُ قَشًّا يَابِسًا! ٢٦ لِأَنَّكَ كَتَبْتَ عَلَيَّ أُمُورًا مَرَّةً
 وَوَرَّثْتَنِي آثَامَ صِبَايَ، ٢٧ فَجَعَلْتَ رِجْلِي فِي الْمَقْطَرَةِ وَلَا حَظَّ جَمِيعَ
 مَسَالِكِي، وَعَلَى أَصُولِ رِجْلِي نَبَشْتُ . ٢٨ وَأَنَا كَمُتَسَوِّسٍ يَبْلَى،
 كَتُوبٍ أَكَلَهُ الْعُثُّ .

هنا يتحوّل كلام أيوب إلى استغاثته، ويطلقها من الأعماق نحو
 رأفة الله ليسمعه التقدير بإنصاف، فيرفع عنه اليد الثقيلة، والشعور
 المرهب أمام الهيبة الإلهية. فإن منح هذه النعمة، سيكون سعيداً،
 سواء كان مدّعياً أم مدّعى عليه، لأنّه عندئذ يقدم قضيته بلا
 خوف.

حين نتأمل كلمات أيوب بعمق . يتبيّن لنا أنّ ما كان يعذب
 نفسه، هو أنه يجهل التهمة الموجهة ضده . وهو يحاول أن يعرف
 سبب الجفاء الإلهي، الذي هو علة صدور مثل هذا الحكم العنيف
 عليه . فراح يتساءل ويتساءل: أيمن أن الله يجعله يتعذب الآن،
 من أجل طيش الصبا؟ الذي لا يتعدى بعض الهفوات البسيطة .
 ومعنى هذا أنه لم ينكر أنه خاطئ . وكل ما هنالك، أنه احتج بأن
 خطاياها، ليست كما ظن أصحابه، واستنتجوا من عظمة مصائبه .

وفي غمرة حيرته، تساءل ما هدف هذا العداء الإلهي، ولماذا نزع الله رضاه عنه؟! ثم لا يلبث أن يستغرب، من أن يرتكز العدل الإلهي على مخلوق ضعيف، وجوده سريع الزوال، كورقة أو قش يابس تتقاذفه الرياح الحريفية!!! وهل يليق بالقدير أن يورث إنساناً مغبة هفوات صباه، التي صدرت عن جهل، ومنذ زمن بعيد؟ ولماذا يكبد الإنسان ثقلاً كهذا من السخط الإلهي؟

الصلاة

أها السيد الرب، نعترف قدامك بجهلنا و نلتمس من حنانك أن تعطينا روح التواضع . وأن تمنن علينا بالمراحم فتغفر لنا إدعاءنا الباطل بالمعرفة . أعطنا أن ننمو في معرفة المسيح المذخر فيه كل كنوز المعرفة الصحيحة . آمين .

السؤال

٢٣- بمَ بدأ أيوب الأصحاح الثالث عشر؟

الأصحاح الرابع عشر ١ «الإنسان مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ قَلِيلُ الْأَيَّامِ وَشَبَعَانُ تَعَبًا. ٢ يُخْرَجُ كَالزَّهْرِ ثُمَّ يَذْوِي، وَيَبْرَحُ كَالظِّلِّ وَلَا يَقِفُ. ٣ فَعَلَى مِثْلِ هَذَا حَدَقْتَ عَيْنَيْكَ، وَإِبَائِي أَحْضَرْتَ إِلَى الْمُحَاكَمَةِ مَعَكَ. ٤ مَنْ يُخْرَجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجْسِ؟ لَا أَحَدًا! ٥ إِنْ كَانَتْ أَيَّامُهُ مُحْدُودَةً وَعَدَدُ أَشْهُرِهِ عِنْدَكَ وَقَدْ عَيَّنْتَ أَجَلَهُ فَلَا يَتَجَاوَزُهُ، ٦ فَأَقْصِرْ عَنْهُ لِيَسْتَرِيحَ، إِلَى أَنْ

يُسْرَ كَالْأَجِيرِ بِانْتِهَاءِ يَوْمِهِ .

إنه لغريب في نظر أيوب أن يرتكز العدل الإلهي على مولود المرأة الضعيف السريع الزوال والذي أيامه القليلة مملوءة بالتعب .
وإنه لا يليق بالإله القدير أن يراقبه، حتى إذا وجد فيه ذنباً ولو صغيراً يقاصصه، أو يحضره إلى المحاكمة .

الجنس البشري كله نجس، ولا يمكن أن يخرج منه طاهر .
ولهذا يندهش أيوب أن يقع تحت طائلة القصاص من أجل هفوات صغيرة، كأنه يُطالب بالكمال! وخصوصاً لأن أيامه قصيرة، كالزهر الذي ييبس، وكالظل الذي يبرح ولا يقف . وإذا وضع نفسه في هذا الموضع، يسأل الله أن لا يراقبه قصد العقاب، بل يتركه يتمتع بالراحة التي قد يمكنه أن يجدها . مثله كالأجير الذي يومه متعب، وليس في حياته إلا قليل من السرور، وأكثر سرور الأجير في إنهاء يومه . لذلك يطلب أيوب من الله أن يقصر عن الإنسان ولا يمنعه عن هذا السرور القليل .

١٤ : ٧ «لَأَنَّ لِلشَّجَرَةِ رَجَاءً . إِنْ قُطِعَتْ تُخْلِيفُ أَيضاً وَلَا تُعْدَمُ
أَعْصَانَهَا . ٨ وَلَوْ قَدِمَ فِي الْأَرْضِ أَضْلَهَا وَمَاتَ فِي التُّرَابِ جِدْعُهَا ، ٩
فَمِنْ رَائِحَةِ الْمَاءِ تُفْرَحُ وَتُنْبِتُ فُرُوعاً كَالْغَرَسِ . ١٠ أَمَّا الرَّجُلُ

فَيَمُوتُ وَيَبَلَى . الْإِنْسَانُ يُسَلِّمُ الرُّوحَ ، فَأَيْنَ هُوَ ! ١١ قَدْ تَنَفَّدَ الْمِيَاهُ مِنْ
الْبَحْرِ ، وَالنَّهْرُ يَنْشَفُ وَيَجْفُ ، ١٢ وَالْإِنْسَانُ يَضْطَجِعُ وَلَا يَقُومُ . لَا
يَسْتَيْقِظُونَ حَتَّى لَا تَبْقَى السَّمَاوَاتُ وَلَا يَنْتَبَهُونَ مِنْ نَوْمِهِمْ .

يقابل أيوب بين الإنسان والشجرة، فيجد مفارقة بين الإثنين،
والامتياز لصالح الشجرة. لأن الشجرة المقطوعة قد تفرخ ثانية،
ولكن الموت يكتب على حياة الإنسان ولا يعود كما كان.

تأمل أحد الأغنياء في هذه العبارة على ضوء ما يحدث
للشجرة بفعل تعاقب الفصول، وكانت أمامه شجرة جرّدتها رياح
الخريف من أوراقها، بعد أن ذبلت ويبست. فرثى للحالة، التي
صارت إليها. ولكنه لم يلبث أن تذكر التحول، الذي سيطرأ عليها
عند رجوع الربيع. ففكر في نفسه أنه بكل تأكيد أن الله الذي
يظهر إبداع عمله في الطبيعة، ليس بأقل استعداداً أن يجري تغييراً
معجزياً في الإنسان. وقاده الفكر إلى التعليم الرسولي القائل بأن
الإنسان سيحوّله الله إلى حال أفضل، حين يأخذه إليه: «يُزْرَعُ فِي
فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي
ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيّاً وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيّاً.
يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ» (كورنثوس الأولى
١٥: ٤٢-٤٤).

١٤: ١٣ لَيْتَكَ تُوَارِيَنِي فِي الْهَٰوِيَةِ وَتُخْفِيَنِي إِلَىٰ أَنْ يَنْصَرِفَ غَضَبُكَ،
 وَتُعَيِّنَ لِي أَجَلًا فَتَذْكُرَنِي. ١٤ إِنْ مَاتَ رَجُلٌ أَفِيحِيًّا؟ كُلَّ أَيَّامِ
 جِهَادِي أَضْبِرُ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بَدْلِي. ١٥ تَدْعُو فَنَا أُجِيبُكَ. تَشْتَاقُ إِلَىٰ
 عَمَلِ يَدِكَ. ١٦ أَمَّا الْآنَ فَتُحْصِي خَطَوَاتِي! أَلَا تُحَافِظُ عَلَيَّ
 خَطِيئَتِي. ١٧ مَعْصِيَتِي مَحْتَمٌ عَلَيْهَا فِي صُرَّةٍ، وَتُلْفِقُ عَلَيَّ فَوْقَ إِثْمِي.

حسب اعتقاد العبرانيين أن الإنسان لا يتلاشى عند الموت، بل تنزل نفسه إلى الهاوية. وبقاؤها هذا ليس حياة حقيقية، لأن ليس لها شركة مع الأحياء على الأرض ولا مع الله (إشعياء ٣٨: ١٨) ولكن من طبيعة الإنسان أنه يشتاق إلى البقاء وإلى الله. فتصوّر أيوب رجوع الله إليه، بعد انصراف غضبه فيذكره الله إذ ذاك ويدعوه. فيجيبه ويشتاق إلى عمل يديه. كما يشتاق الإنسان إلى خالقه. ولكن أيوب بعد تأمل عميق، تراءى له أن هذا مستحيل، فقال متسائلاً: إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ أَفِيحِيًّا؟ وسؤاله الحائر هذا تردد عبر الزمان، دون أن يجد جواباً يشيع الإطمئنان في النفس، إلى أن جاء يسوع وقال كلمته التي تبعث الإطمئنان في النفس: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ» (يوحنا ٥: ٢٥). «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يوحنا ١١: ٢٥).

ولكن أيوب لا يستمر في يأسه، إذ سرعان ما ومض في ذهنه نور حلم بديع عن إله النعمة، فرجا أن ينصرف عنه هذا الغضب الإلهي. وانطلاقاً من رجائه هذا قال: «أصبر إلى أن يأتي بديلي» أن تتبدل حالتي بما هو أحسن، فينتهي جهادي. بيد أن مجد الحلم ذبل عندما تذكر الحقائق البشعة التي للوقت الحاضر، فيترجع في تقديره إله النعمة إلى الوراء، ويتخيل إلهاً يفتش باستمرار تفتيش البخيل لكي يرقب كل خطية من خطاياها.

١٤: ١٨ «إِنَّ الْجَبَلَ السَّاقِطَ يَنْتَثِرُ، وَالصَّخْرَ يَزْحَرْ مِنْ مَكَانِهِ. ١٩ الْحِجَارَةَ تَبْلِيهَا الْمِيَاهُ، وَتَجْرَفُ سُيُوهَا تُرَابَ الْأَرْضِ. وَكَذَلِكَ أَنْتَ تُبِيدُ رَجَاءَ الْإِنْسَانِ. ٢٠ تَتَجَبَّرُ عَلَيْهِ أَبَدًا فَيَذْهَبُ. تُشَوِّهُ وَجْهَهُ وَتَطْرُدُهُ. ٢١ يُكْرَمُ بِنُوهٍ وَلَا يَعْلَمُ، أَوْ يَضْغُرُونَ وَلَا يَفْهَمُ بِهِمْ. ٢٢ إِنَّمَا عَلَى ذَاتِهِ يَتَوَجَّعُ لِحَمِّهِ وَعَلَى ذَاتِهَا تَتَوَحُّ نَفْسُهُ».

الجبال والصخور، أثبت ما في الأرض. ومع ذلك تبليها المياه وتفتتها بفعالها الدائم لزمان طويل. فكم بالبحري الإنسان يبلى بضربات الله المتواضعة؟

وفي كلمة أخرى أن أيوب يشبه مصير الإنسان بعد الموت بالحجارة، التي تبليها المياه، فهو لا يستطيع الوقوف أمام جبروت

الله . ثم يتقدم أيوب إلى فكرة أخرى، وهي أنه بكرامة الأولاد يحصل الإنسان على نوع من الخلود للوالدين . ولكن ليس في ذلك تعزية كاملة للإنسان، لأن الميت لا يعلم ما يحدث للأحياء، وهم لا يعلمون ما يحدث له، فيتوجع هو على ذاته وينوح .

وهنا يجب أن نذكر أن القدماء كانوا يظنون أن النفس وهي في شيول (مكان انتظار الأرواح) لها شركة عطف نحو الجسم المنحل، فتشعر بأوجاع الفساد التي تعترى الجسم . ومن هنا ندرك أن القدماء كانوا عرضة لليأس أو التردد في أمر خلاصهم .

الصلاة

أها الأب القدوس، نشكرك ونعظم اسمك الكريم لأجل يسوع الفادي الذي أثار لنا الحياة والخلود بالإنجيل . وأعطانا بقيامته رجاء الحياة الأبدية . وعلمنا أن كل من يؤمن به وإن مات فسيحيا . عزِّ قلوبنا بهذا الرجاء من أجل اسمك . آمين .

السؤال

٢٤ - ماذا تصوّر أيوب من جهة الله؟

الأصحاح التاسع عشر ٢١ تراءُ فُوا! تراءُ فُوا! أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي، لِأَنَّ يَدَ اللَّهِ قَدْ مَسَّتْنِي . ٢٢ لِمَاذَا تُطَارِدُونَنِي كَمَا اللَّهُ، وَلَا تَشْبَعُونَ مِنِّي حَمِي؟

لم يكن لأصحاب أيوب الحق بالتكلم إليه بترفع، لأنهم ليسوا أبرّ منه أولاً. وثانياً لأنه لا يليق بالمؤمن أن يزدري بالآخرين، حتى ولو كانوا خطاة. لأن المسيح وهو ديان كل الأرض، لم يترفع عن الخطاة. وحين انتقده الفريسيون بسبب مجالسة الخطاة، قال لهم: «لَا يَحْتَاجُ الْأَصْحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى... لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَاراً بَلِ خَطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (متى ٩: ١٢ و١٣).

بيد أن حوار الأصحاب مع أيوب، لم يكن عبثاً. فقد حمل أيوب على الاعتراف، بكل ما قالوه عن حكمة الله وقدرته وعنايته بمخلوقاته. وبأن حكمة الله وقدرته، تظهران في الطبيعة وبهائم الحقل. أمّا السؤال الذي بقي يزعج عقله، والذي لم يشأ الأصحاب أن يواجهوه، فيختص بكيفية استعمال الله لقدرته. إنه لم يكن مستعداً، أن يقبل الأمور بدون فحص آراء الآخرين، مهما كان نصيبها من القدم والتواتر. لذلك بقي الأصحاب عاجزين عن إقناعه بما ظنوه صواباً. هذا شأن الإنسان المتشامخ الروح، يحتاج إلى تأديبات الرب، لكي يتنازل عن شموخه ويقر بضعفه.

بعد أن عبر أيوب عن عدم صبره على كلام بلدد القاسي، وعلى اتهامه بالشر، الأمر الذي أثر فيه تأثيراً ساحقاً، فتاق إلى المؤاساة البشرية. وإذ لم يجدها تضرّع إلى أصحابه أن يترأفوا به. فلماذا

يَقْسُونَ قُلُوبَهُمْ عَلَى إِنْسَانٍ حَزِينٍ كَسِيرٍ؟ أَلَا يَكْفِيهِ أَنَّ اللَّهَ يَطَارِدُهُ؟! فلماذا يتخذون على أنفسهم القيام بذلك؟! ولكن توسله الصادر من قلب منكسر، لم يأت بفائدة. لأن أصحابه، كانوا قد انخدعوا بنظرية خاطئة من جهة الموقف كله، ولا يزالون يعتقدون، بأنه يقاسي ما يقاسيه بسبب خطاياهم. إن إدراك الحقيقة أن يد الرب تبليه، كان ينبغي أن تثير رأفتهم عليه. ولكن بسبب اعتقادهم بمذنبيتهم لم يقدروا أن يرافوا به. بمعنى أنه كان عليهم أن يختاروا بين صديقهم وبين إيمانهم.

إن الكلمة «لِمَاذَا تُطَارِدُونَنِي كَمَا اللَّهُ» تعلن بتأكيد مقدار ديننا لرَبِّنا يسوع المسيح بخصوص اعتقادنا في الله. ففي عهد النعمة، أعلن لنا أن الله في المسيح إله صفوح سموح (أفسس ٤: ٣٢). إنه الأب الذي يُسرُّ بأن يسامح إلى سبعين مرة سبع مرات.

١٩: ٢٣ لَيْتَ كَلِمَاتِي الْأَنَّ تَكْتَبُ. يَا لَيْتَهَا رُسِمَتْ فِي سَفْرِ ٢٤ وَنُقِرَتْ إِلَى الْأَبَدِ فِي الصَّخْرِ بِقَلَمِ حَدِيدٍ وَبِرَّصَاصٍ. ٢٥ أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّ حَيٍّ وَالْآخِرَ عَلَى الْأَرْضِ يَقُومُ ٢٦ وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هَذَا وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللَّهَ. ٢٧ الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرَ. إِلَى ذَلِكَ تَتَوَقَّعُ كُلِّيَّتَايَ فِي جَوْفِي. ٢٨ فَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ:

لِمَاذَا نَطَارِدُهُ؟ وَالْكَلامُ الْأَصْلِيُّ يُوجَدُ عِنْدِي . ٢٩ خَافُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
مِنَ السَّيْفِ لِأَنَّ الْعَظِيمَ مِنَ آثَامِ السَّيْفِ . لِكَيْ تَعْلَمُوا مَا هُوَ
الْقَضَاءُ .

حين رفض الأصحاب توسلات أيوب، تحوّل عنهم والتجأ إلى
المستقبل ليلتمس الرجاء الذي أنكره عليه الحاضر، فيشع مرة
أخرى . فتمنى أن تسجل قضيته . فبكل تأكيد كانت الأجيال
القادمة، ستظهر عطفاً عليه وتبرّر موقفه . وبغته تأتينا رؤية عجيبة
في أمر هذا الرجل . محام إلهي يظهر بغته، ليسترجعه من ظلال
الموت، التي انحدر إليها في عار . وليجعله يسمع الحكم عليه
بالتبرير الذي تآقت إليه نفسه . فيقول: «أَمَا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ
وَلِيِّي حَيٌّ» فقد ركّز نظره أخيراً في وجه المدافع الإلهي الذي هو
وليّ شعبه (إشعيا ٥٤: ٥) وهو وليّ المؤمنين أفراداً (مزمو ١٩: ١٤) .
ما من مسيحي يقرأ الأعداد ٢٥: ٢٧، بدون أن يكتشف أن
هذه الفقرة من سفر أيوب مرآة لذلك الوليّ الحي يسوع، الذي هو
حي في كل حين يشفع فينا (عبرانيين ٧: ٢٥)، الذي أنار الحياة
والخلود بالإنجيل (تيموثاوس الثانية ١: ١٠) .

لقد آمن أيوب بأنه سيرى الله، إلا أنه لم يدرك كيف سيراه .
وآمن أيضاً بأنه هو نفسه يراه وعيناه تنظرانه، وأنه سيرره، ولا

يكون تبريره في غيابه بل في حضوره .

وأيضاً أصحابه سينظرون تبريره، فيقولون: لماذا نطاردته؟ أي أنهم سيقتنعون بأن أيوب بريء مما كانوا قد اتهموه به . ويقول إنَّ الكلام الصحيح عنده هو، وعليهم إذن أن يخافوا من غضب الله عليهم، بسبب غيظهم على أيوب، الغيظ الذي هو من آثام السيف، أي الآثام التي تستحق القتل بالسيف . وفي كلمة أخرى أنَّ أيوب ختم كلامه بتهديد أصحابه بأن ظهور الله الذي ينتظره برجاء وفرح، سيكون سبب خوف لهم . فإذا بقوا مُصرِّين على اتهامهم له، بأن سبب آلامه هو الخطية فليحذروا، لأنه لا بد من وقوع العقاب عليهم .

الصلاة

نشكرك اللهم لأجل الوليِّ الحيِّ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي هو وسيط صلحنا معك، وشفيعنا قدامك . ثبتنا في المسيح، لكي يثبت المسيح فينا، ويكون لنا رجاء القدوم إليك، قديسين وبلا لوم في المحبة . آمين .

السؤال

٢٥ - ماذا كان تأثير أتهام بلدد لأيوب بارتكاب الشر؟

الأصحاح الثامن والعشرون ١ «لأنَّه يُوجَدُ لِلْفِصَّةِ مَعْدَنٌ، وَمَوْضِعٌ

لِلذَّهَبِ حَيْثُ يُمَحَّصُونَهُ. ٢ الْحَدِيدُ يُسْتَخْرَجُ مِنَ التُّرَابِ وَالْحَجَرِ يَسْكُبُ
نَحَاسًا. ٣ قَدْ جَعَلَ لِلظُّلْمَةِ نَهَايَةً وَإِلَى كُلِّ طَرَفٍ هُوَ يَفْحَصُ. حَجَرَ
الظُّلْمَةِ وَظِلَّ الْمَوْتِ. ٤ حَفَرَ مَنْجَمًا بَعِيدًا عَنِ السُّكَّانِ. بِلَا مَوْطِيئٍ
لِلْقَدَمِ. مُتَدَلِّينَ بَعِيدِينَ مِنَ النَّاسِ يَتَدَلَّدُونَ. ٥ أَرْضٌ يُخْرَجُ مِنْهَا الْخُبْزُ
أَسْفَلُهَا يَنْقَلِبُ كَمَا بِالنَّارِ. ٦ حِجَارَتُهَا هِيَ مَوْضِعُ الْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ وَفِيهَا
تُرَابُ الذَّهَبِ. ٧ سَبِيلٌ لَمْ يَعْرِفْهُ كَاسِرٌ، وَلَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنٌ بِأَشَقٍ، ٨ وَلَمْ
تَدْسْهُ أَجْرَاءُ السَّبْعِ، وَلَمْ يَسْلُكْهُ الْأَسَدُ. ٩ إِلَى الصَّوَانِ يَمُدُّ يَدَهُ. يَنْقَلِبُ
الْجِبَالَ مِنْ أُصُولِهَا. ١٠ يَنْقَرُ فِي الصُّخُورِ سَرَبًا، وَعَيْنُهُ تَرَى كُلَّ تَمِيمٍ. ١١
يَمْنَعُ رَشْحَ الْأَنْهَارِ، وَأَبْرَزَ الْخَفِيَّاتِ إِلَى النُّورِ .

موضوع هذا الأصحاح أن الإنسان من تلقاء نفسه، لا يجد
الحكمة لأن هذا مختص بالله، والإنسان المحدود الإدراك لا يمكن
أن يفهم الحكمة، بمعنى مبدأ السياسة العادلة الحقيقية، التي تدير
مجرى شؤون هذا العالم. وسبيل الإنسان الوحيد هو أن يتقي الله،
ويتكل عليه. وبالنتيجة أن يضع نفسه وأموره في يدي الله .

في الأعداد ١-١١، تكلم أيوب عن أعمال الإنسان في التنقيب
عن المعادن واستخراجها من جوف الأرض. وفي زمنه كان
للمصريين مناجم نحاس وفضة في شبه جزيرة سيناء. وبعض
من أنفاق تلك المناجم ما زال موجوداً حتى اليوم. وقد حُفِظَ فِي

المتاحف الكثير من أدوات العمال وآلاتهم ومسابكهم، وكأن الأقدمين تركوها الأمس، وليس منذ أربعة آلاف سنة. ثم يصف أعمال أولئك المعدنين، فيقول: كانوا يحفرون حفراً في الجبال، متدلين بحبال من فوق، في أماكن غير مأهولة بالناس. وكما يقلب الفلاح وجه الأرض لتنتب له خبزاً للأكل. هكذا كان المعدنون يقلبون أسفل الأرض ليستخرجوا من جوفها المعادن الثمينة. وبعد إخراجها يتركون الأرض في الداخل مقلوبة كأنها أحرقت بالنار، ثم يشير أيوب إلى سر الحكمة، فيقول: إنه كما أخفي سبيل المعادن عن طيور السماء ووحوش الأرض. هكذا أخفيت الحكمة عن عيون البشر. ثم يشير إلى الصعوبات، التي يعانيتها عامل المناجم وإلى شجاعته وحقاقته في تدليل هذه الصعوبات. يحضر الأنفاق، ويمنع رشح الأنهار، لئلا تتجمع المياه في المنجم.

٢٨: ١٢ «أَمَّا الْحِكْمَةُ فَمِنْ أَيْنَ تُوْجَدُ، وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ؟ ١٣ لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ قِيَمَتَهَا وَلَا تُوْجَدُ فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ. ١٤ الْعَمْرُ يَقُولُ: لَيْسَتْ هِيَ فِيَّ، وَالْبَحْرُ يَقُولُ: لَيْسَتْ هِيَ عِنْدِي. ١٥ لَا يُعْطَى ذَهَبٌ خَالِصٌ بَدَلَهَا وَلَا تُوزَنُ فِضَّةٌ ثَمَنًا لَهَا. ١٦ لَا تُوزَنُ

بِذَهَبٍ أَوْفِيرٍ أَوْ بِالْجُرْعِ الْكَرِيمِ أَوْ أَلْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ . ١٧ لَا يُعَادِلُهَا
 الذَّهَبُ وَلَا الرَّجَاجُ، وَلَا تُبَدَلُ بِإِنَاءِ ذَهَبِ إِبْرِيزٍ . ١٨ لَا يُذَكَّرُ
 الْمَرْجَانُ أَوْ الْبَلُّورُ، وَتَحْصِيلُ الْحِكْمَةِ خَيْرٌ مِنَ اللَّالِيِّ . ١٩ لَا يُعَادِلُهَا
 يَاقُوتُ كُوشَ الْأَضْفَرِّ وَلَا تُوزَنُ بِالذَّهَبِ الْخَالِصِ .

فالحكمة في تقدير أيوب، لا يمكنك أن تجدها في الأرض كما
 تجد المعادن . ولا يمكنك أن تجدها في أعماق المحيط، ولا في قاع
 البحر . ولا يمكنك أن تجدها في السوق، فتبتاعها لنفسك . إنها لا
 توزن بفضة، ولا بذهب أوفير، الذي كان يُستخرج من شاطئ
 البحر الهندي . ولا يمكنك أن توزنها باللالئ الثمينة، لأن ثمنها
 يفوق اللالئ وكل أنواع الحجارة الكريمة . ولا يمكنك أن تجدها
 في مكان الأخيلة (الوهم - الظن)، لأن الله وحده يعرف طريقها،
 ورأسها مخافته .

والواقع أن قصة أيوب عن الحكمة تحكي عن مطلب حير ذكاء
 الناس قديماً وحديثاً . ولكن هذا المطلب ميسور لكل طالب الله
 بالحق . فقد قال الرسول يعقوب: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعَوِّزُهُ حِكْمَةٌ
 فَلْيَطْلُبْ مِنْ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى
 لَهُ» (يعقوب ١: ٥) هذا هو الشرط لنيل الحكمة، من كل من يشعر
 باحتياجه إلى حكمة الله التي هي أسمى من معرفة حكماء هذا

الدهر. سليمان طلبها من الله بخلوص نية فناها، دون أن يقدم لها ثناً ما، لا ذبائح ولا محرقات ولا ندور. المهم أن تطلب بإخلاص وبإيمان، لتستخدم لتمجيد الله.

اطلب هذه الحكمة اليوم ولا تتأخر. غير مرتاب البتة. فيعطيك الله سؤالك وفقاً لقول المسيح: «اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم» (متى ٧:٧).

طوبى للذي يحصل على هذه «الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة، ثم مسالمة، مترققة، مدعنة، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة، عديمة الرئيب والرياء». وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام» (يعقوب ٣: ١٧ و ١٨).

الصلاة

نشكرك يا أبانا السماوي، لأجل يسوع المسيح، الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداء. افتح عيون أذهان الناس، حتى يروا هذه الحكمة، وأنر عقولهم لكي يقبلوها، فينالوا بر الله ويشاركوا في قداسته. آمين.

السؤال

٢٦ - كيف قدر أيوب الحكمة وماذا قال فيها؟

٢٨: ٢٠ «فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْحِكْمَةُ، وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ. ٢١ إِذْ أُخْفِيَتْ

عَنْ عُيُونِ كُلِّ حَيٍّ وَسُتِرَتْ عَنْ طَيْرِ السَّمَاءِ؟ ٢٢ أَهْلَاكُ وَالْمَوْتُ
يَقُولَانِ: بِأَذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا خَبَرَهَا.

في هذه الآيات ملخّص الكلام السابق، أي أنه لا توجد حكمة في الأرض. وكل ما يمكن للبشر صنعه هو الإشارة إلى إشاعة غامضة سمعوها عن الحكمة. إنها لا توجد في أماكن البيع، ولا تحت الأرض في المعادن، ولا في البحر ولا في الهاوية، مكان الهلاك والموت. فإنهما يقولان قد سمعنا خبرها فقط. ولكنها ليست عندهما. والنتيجة أنّ الحكمة لله وحده، فإنّه خلق الكون ويعتني به. هذا التعليم صحيح، ولكنه يخالف موقف أيوب السابق. وإذا كان أيوب كما يظن البعض قد وصل إلى هذه الحالة، حالة التعقل والإطمئنان، فكيف نفسر عودته إلى التشكي (أيوب ٣٠: ٢٠-٢٣) وتضجّره من عدم تبريره (أيوب ٣٨). وإن كان قد سلّم بأنّ طرق الحكمة لا تُدرَك، فليس من احتياج لتوجيه أفكاره إليها، لا بذكر تشكّ هنا، ولا بروح مقاومة لله (أيوب ١٥: ١٣) لأنّ الخالق العظيم، حفظ لنفسه المعرفة العليا.

٢٨: ٢٣ اللَّهُ يَفْهَمُ طَرِيقَهَا وَهُوَ عَالِمٌ بِمَكَانِهَا. ٢٤ لِأَنَّهُ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى
أَقْصَايِ الْأَرْضِ. تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ يَرَى. ٢٥ لِيَجْعَلَ لِلرِّيحِ وَزْنَ

وَيُعَايِرُ أُمَّيَاهُ بِمِقْيَاسٍ . ٢٦ لَمَّا جَعَلَ لِلْمَطَرِ فَرِيضَةً وَسَبِيلًا لِلصَّوَاعِقِ
٢٧ حِينَئِذٍ رَأَاهَا وَأَخْبَرَ بِهَا، هَيَّأَهَا وَأَيْضاً بَحَثَ عَنْهَا ٢٨ وَقَالَ
لِلْإِنْسَانِ: هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ الْحِكْمَةُ، وَالْحَيْدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ
الْفَهْمُ» .

هنا نجد الجواب على سؤال، طالما طرحته الأجيال: أين توجد
الحكمة؟ فالله وحده يعرفها ويقتنيها. وهو الذي يقدر أن يتحكم
بقوى هذا الكون الهائلة. إنه إله الخليقة، الذي له السيادة الشاملة
على كل خفايا الحكمة. وهو الذي عيّن للريح مقدارها وقوتها،
وعيّن للأمطار أوقاتها وكمياتها.

ولكن إن كان عقل الإنسان لا يستطيع أن يرى سر السلطان
الإلهي، فهو بواسطة الطاعة والتواضع يستطيع الحصول على
الحكمة اللازمة للتمييز بين الخير والشر، ورؤية ما هو صحيح.
ويستطيع أيضاً أن يفيد من حكمة الله في الفداء العظيم؛ إن هو
سلك متواضعاً مع إلهه. فقد قال المسيح: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ رَبُّ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ
وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ» (متى ١١: ٢٥).

لم يقصد المسيح هنا الإقلال من أهمية القدرات العقلية أو
يدينها، ولكنه يدين كبرياء العقل، التي تبعد الإنسان عن

البساطة. قال أحد الأتقياء: إنه القلب البسيط، وليس الرأس هو بيت الإنجيل. وبقيناً أنه ليست الحكمة هي التي تفتح أمامنا باب قبول المسيح، بل التواضع والوداعة. فقد تكون لإنسان حكمة أفلاطون، ولكن إن لم تكن له البساطة والتواضع كقلوب الأطفال، فإنه يمنع نفسه من قبول مطالب الإنجيل.

فإذا كان الإنسان يريد النجاح في سفره نحو إدراك تلك الحكمة، التي مالكها الفريد القادر هو الله، عليه أن يخاف الله ويحيد عن الشر. والواقع أنه لا توجد حكمة حقيقية ولا معرفة صحيحة بعيداً عن مخافة الرب. وكل من انتسب للحكمة وتجاهل الله، ليس سوى غبي نسي أن يطهر نفسه من خطية كبرياء العقل.

وخير للشباب طالب المعرفة، وهو يواجه العدد الوفير من النظريات التي لها صفة العلم، أن يتلمس في كل نظرية مخافة الله. فإن كثيرين من الفلاسفة والعلماء، القوا مخافة الرب جانباً وجعلوا سلطان الله بعيداً عن دائرة خليقته. «وَبَيِّنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءٌ صَارُوا جُهَلَاءَ» (رومية ١: ٢٢) ومن هنا كثرت السخافات والضلالات التي تبعد الإنسان عن حق الله، ويخبرنا التاريخ أن اليونانيين القدماء، افتخروا بحكمتهم. ولكن كل

حكمتهم لم تكن كافية أن تمنحهم القداسة أو الغبطة، أو أن تحفظهم من الضلالة عن الله وعن طريق عبادته. وما ذلك إلا لأن الخطية أعمت أذهانهم، ولم يهتدوا بالنور الإلهي. وأظهروا جهلهم بآرائهم وأعمالهم.

الصلاة

عظيم وقدوس، أنت أيها الرب الإله. ونحن نشكرك من كل القلب لأنك أيضاً رحيم محب ورؤوف. وبالمحبة أعلنت لنا حكمتك بالفداء، لكي تكفر عن خطايانا. أعطنا أن نترك كل حكمة بشرية تبعدنا عن محور خلاصك بالفداء العظيم. آمين.

السؤال

٢٧ - ما هي النصيحة الموجهة للشابات والشباب وهم يواجهون العديد من النظريات التي لها صفة العلم؟

الأصحاح التاسع والعشرون ١ وَعَادَ أَيُّوبُ يُطِيقُ بِمَثَلِهِ قَقَالَ: ٢ «يَا لَيْتَنِي كَمَا فِي الشُّهُورِ السَّالِفَةِ وَكَالْأَيَّامِ الَّتِي حَفِظَنِي اللَّهُ فِيهَا، ٣ حِينَ أَضَاءَ سِرَاجَهُ عَلَيَّ رَأْسِي وَبَنُورِهِ سَلَكَتُ الظُّلْمَةَ. ٤ كَمَا كُنْتُ فِي أَيَّامِ حَرِيفِي وَرِضَا اللَّهِ عَلَيَّ حَيْمَتِي، ٥ وَالْقَدِيرُ بَعْدُ مَعِي وَحَوْلِي غِلْمَانِي، ٦ إِذْ غَسَلْتُ حَطَوَاتِي بِاللَّبَنِ، وَالصَّخْرُ سَكَبَ لِي جَدَاوِلَ زَيْتٍ. ٧ حِينَ

كُنْتُ أَخْرَجُ إِلَى الْبَابِ فِي الْقَرْيَةِ وَأَهْيَيْ فِي السَّاحَةِ مَجْلِسِي . ٨ رَأَيْ
الْغِلْمَانَ فَاحْتَبَأُوا، وَالْأَشْيَاحُ قَامُوا وَوَقَفُوا . ٩ الْعُظَمَاءُ أَمْسَكُوا عَنِ
الْكَلَامِ وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ . ١٠ صَوْتُ الشُّرَفَاءِ اخْتَفَى
وَلَصِقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِأَحْنَاكِهِمْ . ١١ لِأَنَّ الْأُذُنَ سَمِعَتْ فَطَوَّبْتَنِي، وَالْعَيْنَ
رَأَتْ فَشَهِدَتْ لِي .

يستهل أيوب هذا الأصحاح بالتكلم عن حالته الماضية
السعيدة، ويقابلها بضيعاته الحالية القاسية . وهذا الأصحاح، من
أكثر إصحاحات السفر تأثيراً، وقد صوّر فيه ينابيع سعادته بحذق
فائق . وقد ذكر بأن كل الخير الذي كان له هو من الله، ومن
رعايته المترفقة . أضاء سراج له لينير الظلمات حوله . ويخبرنا
بروح التذكّار:

أولاً: إِنَّ اللَّهَ حَفَظَهُ وَسَهَرَ عَلَيْهِ . وَأَعْطَاهُ نَجَاحاً وَأَفْرَاحاً لِأَنَّ
الْحَرِيفَ وَقْتَ جَنَى الْأَثْمَارِ .

ثانياً: كَانَ أَيُوبَ رَجُلًا سَعِيدًا فِي عَائِلَتِهِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ ذَلِكَ
بِرِضَا اللَّهِ عَلَى بَيْتِهِ وَحَوْلِهِ غِلْمَانِهِ .

ثالثاً: كَانَ مُفْلِحاً لِأَنَّ اللَّبْنَ كَانَ عِنْدَهُ بِالكَثْرَةِ كَالْمَاءِ الْفَائِضِ .
وَأَشْجَارَ الزَّيْتُونِ الَّتِي فِي حَقُولِهِ نَضَرَتْ، وَحِينَ عُصِرَتْ أَثْمَارُهَا
أَعْطَتْ جَدَاوِلَ مِنَ الزَّيْتِ .

رابعاً: كان رجلاً محترماً من الناس، إذ كان يأخذ مكانه في المجالس وكان الحاضرون يراعونه بالتبجيل . وكانوا يترقبون رأيه باحترام . إذ كان حديثه كالمطر المنعش للنفوس الخائرة، وكانت ابتسامته ترياقاً (دواءً) للمترددین ليعث الثقة في قلوبهم . ولم يقدر أحد أن يعترض على كلامه أو يزيد عليه . وطوبته الأذن لأن كلامه كان بالعدل والإنصاف .

٢٩: ١٢ لَأَنِّي أَنْقَذْتُ الْمُسْكِينِ الْمُسْتَغِيثَ وَالْيَتِيمَ وَلَا مُعِينَ لَهُ . ١٣ بَرَكَاتُ أَهْلِكَ حَلَّتْ عَلَيَّ، وَجَعَلْتَ قَلْبَ الْأَرْمَلَةِ يُسْرًا . ١٤ لَبِستُ الْبِرِّ فَكَسَانِي . كَجَبَّةٍ وَعِمَامَةٍ كَانَ عَدْلِي . ١٥ كُنْتُ عُيُونًا لِلْعُمِيِّ وَأَرْجُلًا لِلْعُرْجِ . ١٦ أَبُّ أَنَا لِلْفُقَرَاءِ، وَدَعْوَى لَمْ أَعْرِفْهَا فَحَصَّتْ عَنْهَا . ١٧ هَشَّمْتُ أَضْرَاسَ الظَّالِمِ وَمِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ خَطَفْتُ الْفَرِيسَةَ .

كانت علة اعتبار الناس لأيوب هي: أعماله الصالحة، والعدالة والرحمة التي تميّزت سجاياه بهما . بمعنى أن الرجل الذي كان يرقبه الله، كان دقيقاً في مراقبة مصالح المحتاجين . حتى أن الغرباء كان يمكنهم أن يعتمدوا على دفاعه عنهم في قضاياهم . في كل هذه النشاطات الاجتماعية كان البر رائده . أي كما أن الناس في زمنه كانوا يفخرون بلباسهم كالجبة والعمامة، هكذا أيوب

افتخر ببره . والفكر يكاد يكون أن العدل تجسد في أيوب .

كان يساعد بمعرفته الذين لا معرفة لهم، وهم كعمي نظراً لسذاجتهم . وكان يساعد الضعفاء وهم كعرج لضعفهم . ولم يساعد القريبين منه فقط كإنسبائه وأتباعه، بل أيضاً ساعد الغريب، ولم يحكم في دعوى قبل الفحص . وفي كل قضية كان يحكم على الظالم وينصف المظلوم .

٢٩: ١٨ فَقُلْتُ: إِنِّي فِي وَكْرِي أَسْلَمُ الرُّوحَ، وَمِثْلَ السَّمْنَدَلِ أَكْثَرُ أَيَّامًا. ١٩ أَضَلِّي كَانَ مُنْبَسِطًا إِلَى الْمِيَاهِ، وَالطَّلُّ بَاتَ عَلَى أَعْصَانِي. ٢٠ كَرَامَتِي بَقِيَتْ حَدِيثَةً عِنْدِي، وَقَوْسِي تَجَدَّدَتْ فِي يَدِي. ٢١ لِي سَمِعُوا وَأَنْتَظَرُوا، وَنَصَتْوَا عِنْدَ مَشُورَتِي. ٢٢ بَعْدَ كَلَامِي لَمْ يُثْنُوا وَقَوْلِي قَطَرَ عَلَيْهِمْ. ٢٣ وَأَنْتَظَرُونِي مِثْلَ الْمَطَرِ، وَفَعَرُوا أَفْوَاهَهُمْ كَمَا لِلْمَطَرِ الْمُتَأَخَّرِ. ٢٤ إِنْ ضَحِكْتَ عَلَيْهِمْ لَمْ يُصَدِّقُوا وَنُورَ وَجْهِي لَمْ يُعْبَسُوا. ٢٥ كُنْتُ أَخْتَارُ طَرِيقَهُمْ وَأَجْلِسُ رَأْسًا وَأَسْكُنُ كَمَلِكٍ فِي جَيْشٍ كَمَنْ يُعْزِي النَّائِحِينَ.

هنا يقدم أيوب صورة المستقبل الذي كان يتوقعه، والذي فتنته البلايا. هذه الصورة نجدها في الأعداد ١٢ إلى ٢٠. فقد كان أيوب ينتظر استمراراً لا ينقطع للأيام الذهبية. كان في بيته وحوله أسرته

وأملكه وأصدقائه. وكان يتوقع أن يعيش عمراً مديداً كالسمندل وهو طائر في الهند، كانوا يعتقدون أنه يعيش ٥٠٠ سنة.

وفي الآيات الختامية، يعود أيوب إلى التغني بسجاياه وأمجاده. فقال عن أترابه، إنهم لم يروا فيه نقصاً ولا غلطاً فيعترضون عليه، وذلك كله بخلاف ما أتاه من أصحابه الثلاثة. أمّا جلساؤه فلم يتوقعوا أن هذا الشيخ الكبير يتنازل ويبتسم لهم، ويصير كواحد منهم. ولكن أيوب بسجاياه الكريمة حملهم على الطمأنينة وشجعهم بابتسامته، ليعلموا أن لا سبب للخوف.

كانت تلذّ له معاشرتهم فيذهب إليهم، أو كان يحكم في مشاكلهم، ويقول لهم ما يجب أن يعملوه، فكان لهم كقائد في جيشه. ولم يكن كملك قاسٍ وظالمٍ، بل كصديقٍ. وخصّص لخدمتهم كل ما كان عنده من الحكمة والاعتدال. ولكننا نرى في كلام أيوب شيئاً من المبالغة، وهذا طبيعي، لأنّه كلام شعري، والشاعر ليس مدققاً كالمؤرخ.

الصلاة

أبها الرب الإله الصالح. يا مصدر كل بر وقداسة وصلاح. نبارك اسمك يا إلهنا لأجل كل إعلاناتك عن الحكمة. إلهنا مخافتك التي هي رأس كل حكمة. ضع في نفوسنا فكر التواضع حتى نأتي إليك ببساطة الإيمان

والثقة ونسكن قلوبنا قدامك . آمين .

السؤال

٢٨ - اذكر بعضاً من الامتيازات التي كانت لأيوب وكانت سبب سعادته

الأصحاح الثلاثون ١ «وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ضَحِكَ عَلَيَّ مَنْ يَصْغُرُنِي فِي الْأَيَّامِ، الَّذِينَ كُنْتُ أَسْتَنْكِفُ مِنْ أَنْ أَجْعَلَ آبَاءَهُمْ مَعَ كِلَابِ غَنَمِي .
٢ قُوَّةُ أَيْدِيهِمْ أَيْضاً مَا هِيَ لِي . فِيهِمْ عَجَزَتِ الشَّيْخُوخَةُ . ٣ فِي الْعَوَزِ وَالْمَجَاعَةِ مَهْزُولُونَ، يَنْبِشُونَ الْيَابِسَةَ الَّتِي هِيَ مِنْذُ أَمْسٍ خَرَابٌ وَخَرِبَةٌ .
٤ الَّذِينَ يَقْطِفُونَ الْمَلَّاحَ عِنْدَ الشَّيْخِ، وَأُصُولُ الرِّثَمِ خُبْرُهُمْ . ٥ مِنْ أَلْوَسَطِ يُطْرَدُونَ . يَصِيحُونَ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَى لِصٍّ . ٦ لِلسَّكَنِ فِي أَوْدِيَةِ مُرْعَبَةٍ وَتَقَبِ التُّرَابِ وَالصُّخُورِ . ٧ بَيْنَ الشَّيْخِ يَنْهَقُونَ . تَحْتَ الْعَوْسَجِ يَنْكَبُونَ . ٨ أَبْنَاءُ الْحِمَاقَةِ، بَلْ أَبْنَاءُ أَنْاسٍ بِلَا أَسْمٍ، دُحِرُوا مِنَ الْأَرْضِ .

كان أيوب مكرماً من الجميع، أما الآن فإنَّ الناس حتى الأدياء منهم، يحتقرونه ويستهنئون به ويزدرونه . أي أنَّ البؤس في الحاضر، يزحف عليه من كل جانب . أولاً يأتي من الخارج . فإنه هُهان من الناس حتى الأسافل منهم الذين في الأيام القديمة، كان هو يسرع إلى مساعدتهم . لذا يقول في مرارة: أصاغري يستهنئون بي، الذين كنت أستنكف أن أأتمن أباءهم على مهمة كلب الغنم،

وهي حراسة القطعان . إنهم قوم ماتت فيهم المهمة، حتى صاروا شاكرين إذا استطاعوا استخلاص معيشة بائسة من الجذور في الأرض، والملاح هو نبات الحميض الذي أكله يدل على الفقر الشديد، ومثله أصول الرتم (نوع من الشجر من فصيلة القرنيات) . ومن شدة بؤسهم، كانوا ينامون على الأماكن الصخرية الجرداء، عندما يرفض الناس المحترمون بخشونة أن يعطوهم مكاناً يسندون إليه رؤوسهم . هؤلاء الأصاغر ازدروا أيوب وسبوه . فامتلات نفسه مرارة، حتى قرط بشفتيه على هذا النحو في وصفهم .

٣٠ : ٩ « أَمَا الْآنَ فَصِرْتُ أَغْنِيَتَهُمْ وَأَصْبَحْتُ لَهُمْ مَثَلًا ١٠ يَكْرَهُونَنِي . يَبْتَعِدُونَ عَنِّي ، وَأَمَامَ وَجْهِ لَمْ يُمْسِكُوا عَنِ الْبُصْقِ ١١ لِأَنَّهُ أَطْلَقَ الْعَنَانَ وَقَهْرَنِي فَزَعُوا الزَّمَامَ قَدَامِي ١٢ عَنِ الْيَمِينِ السَّفَلَةَ يَقُومُونَ يُزِيحُونَ رِجْلِي ، وَيُعِدُّونَ عَلَيَّ طُرُقَهُمْ لِلْبُورِ ١٣ أَفْسَدُوا سُبُلِي . أَغَانُوا عَلَيَّ سُقُوطِي . لَا مُسَاعِدَ عَلَيْهِمْ ١٤ يَأْتُونَ كَصَدْعِ عَرِيضٍ تَحْتَ أَلْهَدَةِ يَتَدَحَّرْجُونَ ١٥ انْقَلَبْتُ عَلَيَّ أَهْوَالٌ . طَرَدْتُ كَالرَّيْحِ نِعْمَتِي ، فَعَبَرْتُ كَالسَّحَابِ سَعَادَتِي .

لقد حاق الاحتقار بأيوب، فصارت نفسه هدفاً للصعاب والمرارة من قبل هؤلاء الناس، الذين صيرته أحواله الحاضرة إلى

أدنى الناس في نظرهم . لقد ابتعدوا عنه لسبب مرضه، وكثيرون منهم كانوا يبصقون، علامة للاحتقار كلما نظروا إليه . كل ذلك لأن الله ابتلى أيوب وقهره، فاستنتجوا أنه يحل لهم أن يعيروه ويحقروه . حتى الفروخ، أي الفتیان الرعاع، طاردوه من مكان إلى مكان . فسدّوا سبل حياته، إذ وضعوا أمامه تجارب ليسقط فيها . والإهانة المسببة عن هذه المعاملة الوحشية، كانت شديدة الوقع على نفسه المعذبة، حتى اضطرب ذهنه وقلقت أفكاره .

لقد طردت الأهوال نعمته، كما تطرد الريح السحاب، فتلاشت سعادته سريعاً . وليست أهوال تلك من هجوم الأردياء عليه فقط، بل أيضاً من هجوم الآلام والأحزان، ولا سيّما الشكوك من جهة جودة الله وعدله!

٣٠ : ١٦ « فَأَلَانَ أَنهَالَتْ نَفْسِي عَلَيَّ وَأَخَذْتَنِي أَيَّامُ الْمُدَلَّةِ . ١٧ أَلَّلِيلَ يَنْخَرُ عِظَامِي فِيَّ، وَعَارِقِي لَا تَهْجَعُ . ١٨ بَكْتَرَةَ الشَّدَّةِ تَنْكَرَ لِبِسِي . مِثْلَ جَيْبِ قَمِيصِي حَزَمْتَنِي . ١٩ قَدْ طَرَحْنِي فِي الْوَحْلِ فَأَشْبَهْتُ أَلْتَرَابَ وَالرَّمَادَ . ٢٠ إِلَيْكَ أَصْرُخُ فَمَا تَسْتَجِيبُ لِي . أَقُومُ فَمَا تَنْتَبِهْ إِلَيَّ . ٢١ تَحَوَّلْتَ إِلَى جَافٍ مِنْ نَحْوِي . بِقُدْرَةِ يَدِكَ تَضْطَهْدُنِي . ٢٢ حَمَلْتَنِي، أَرْكَبْتَنِي الرِّيحَ وَذَوَّبْتَنِي تَشْوَهًا . ٢٣ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ إِلَى

أَمُوتِ تُعِيدُنِي، وَإِلَى بَيْتِ مِيعَادِ كُلِّ حَيٍّ . ٢٤ وَلَكِنْ فِي الْخَرَابِ أَلَّا
يَمُدُّ يَدًا؟ فِي الْبَلِيَّةِ أَلَّا يَسْتَعِيثُ عَلَيْهَا؟

هنا يشير أيوب إلى البؤس الآتي من الداخل، إذ يصف
الأوجاع المبرحة لمرضه الكريه، والتي هي في الليل أشدّ منها في
النهار. وهذا المرض سبّب له انتفاخاً في جسمه بشكل غير
طبيعي، حتى تغير لبسه. أي أن جبّته ضاقت حتى التصقت به
كصدرية.

ثم يشير إلى بؤسه الآتي من الأعلى. فيقول بمرارة أنه يتعامل
مع إله طرحه في الوحل والرماد. والآن هو بقسوة لا يبالي بصراخه
من أجل العون، مع أنه لم يترك اتكاله عليه رغم معاملته إياه وكأنّه
عدو.

وقد شعر أيوب بأنه يغوص في زوبعة، متصوراً أنّ إلهاً متحجّر
القلب قد ساقها نحوه لتذيبه. ولكنه في غمرة بؤسه وأوجاعه
صرخ إلى الله، وهذا أمر طبيعي، فكل من في الخراب يمد يده
ملتمساً النجاة. وكل من يقع في البلية. يستغيث عليها. إنها
كانت يد الإيمان ممتدة، تطلب مخلصاً لم يستطع بعد أن يثق فيه
بثبات.

٣٠: ٢٥ «ألمْ أَبِكْ لِمَنْ عَسَرَ يَوْمُهُ؟ أَلَمْ تَكْتَبْ نَفْسِي عَلَى الْمُسْكِينِ؟ ٢٦
 حِينَمَا تَرَجَيْتُ الْخَيْرَ جَاءَ الشَّرُّ، وَأَنْتَظَرْتُ النُّورَ فَجَاءَ الدُّجَى . ٢٧
 أَمْعَائِي تَغْلِي وَلَا تَكْفُ . تَقَدَّمْتَنِي أَيَّامُ الْمَذَلَّةِ . ٢٨ إِسْوَدَّدْتُ لَكِنْ
 بِلَا شَمْسٍ . قُمْتُ فِي الْجَمَاعَةِ أَصْرُخُ . ٢٩ صَرْتُ أَخًا لِلذَّنَابِ
 وَصَاحِبًا لِلنَّعَامِ . ٣٠ إِسْوَدَّ جِلْدِي عَلَيَّ وَعِظَامِي أَحْتَرَقَتْ مِنْ
 الْحَمَى فِي . ٣١ صَارَ عُودِي لِلنُّوحِ وَمَزْمَارِي لِصَوْتِ الْبَاكِينَ .

لم يشعر أيوب بأنه كان يتأخر عن شيء من واجباته . بل كان
 يترجى الخير للجميع . لأنه في أيام سعته كان يرثي للمساكين
 وللمصابين ، كأنه مصاب معهم . وكان لسان حاله يقول : لو أن
 الله ، فقط عاملني بالكرم الذي عاملت به الآخرين ، لكان مركزي
 مختلفاً جداً عما هو الآن . ثم يصف شعوره الذي يغلي من وطأة
 آلام المذلة على نفسه .

اسودَّ من مرضه وليس من الشمس ، ومن شدة أوجاعه ، لم
 يقدر أن يضبط نفسه ، بل صرخ حتى في الجماعة . وكان صوته
 كصوت الذئب ورنال النعام (أولاد النعام) . كل شيء يدعوه إلى
 الابتئاس ، فجلده قد اسودَّ وصار خشناً . وكل شيء يدعوه إلى
 الاكتئاب ، فعوده الذي كان يعزف عليه أناشيد الفرح ، صار يعزف
 عليه أناشيد الحزن والرتاء .

الصلاة

يا ساكناً في الأعالي، إليك يأتي كل بشر. نحمدك يا رب السماء لأنك لا تعاملنا بحسب استحقاقاتنا، ولم تجازنا بحسب أعمالنا، بل بالرحمة عاملتنا، ولم تصعقنا لعصياننا. ولكنك تتأني علينا ولا تشاء أن يهلك أحد منا، بل أن نأتي جميعاً إلى التوبة. توبُّنا فنتوب ونسترجع اعتبارنا عندك كمخلوقين على صورتك. آمين.

السؤال

٢٩ - ما هو التحوُّل الذي حدث بالنسبة لمركز أيوب في المجتمع؟

الأصحاح الحادي والثلاثون ١ «عَهْدًا قَطَعْتُ لِعَيْنَيَّ، فَكَيْفَ أَتَطَّلَعُ فِي عَذْرَاءٍ! ٢ وَمَا هِيَ قِسْمَةٌ اللَّهِ مِنْ فَوْقُ وَنَصِيبُ الْقَدِيرِ مِنَ الْأَعَالِي؟ ٣ أَلَيْسَ الْبَوَارُ لِعَامِلِ الشَّرِّ وَالنُّكْرُ لِفَاعِلِي الْإِثْمِ! ٤ أَلَيْسَ هُوَ يَنْظُرُ طُرْقِي وَيُحْصِي جَمِيعَ خَطَوَاتِي. ٥ إِنْ كُنْتُ قَدْ سَلَكْتُ مَعَ الْكَذِبِ، أَوْ أَسْرَعْتُ رِجْلِي إِلَى الْغِشِّ، ٦ لِيُزِينَنِي فِي مِيزَانِ الْحَقِّ فَيَعْرِفَ اللَّهُ كَمَالِي. ٧ إِنْ حَادَتْ خَطَوَاتِي عَنِ الطَّرِيقِ، وَذَهَبَ قَلْبِي وَرَاءَ عَيْنَيَّ، أَوْ لَصِقَ عَيْبٌ بِكَفِّي، ٨ أَزْرَعُ وَغَيْرِي يَأْكُلُ، وَفُرُوعِي تُسْتَأْصَلُ. ٩ «إِنْ غَوِيَ قَلْبِي عَلَى أَمْرَةٍ، أَوْ كَمَنْتُ عَلَى بَابِ قَرِيبِي، ١٠ فَلَتَطْحَنَ أَمْرَاتِي لِأَخَرَ، وَلَيُنْحَنَ عَلَيْهَا آخَرُونَ. ١١ لِأَنَّ هَذِهِ رَذِيلَةٌ، وَهِيَ إِثْمٌ يُعْرَضُ لِلْقَضَاةِ.

١٢ لِأَنَّهَا نَارٌ تَأْكُلُ حَتَّى إِلَى أَهْلَاكِ وَتَسْتَأْصِلُ كُلَّ مَحْضُولِي.

هذا الأصحاح خاتمة كلام أيوب عن براءته. وهو بدون شك يحتوي على أسمى مُثُل لأخلاق العهد القديم. وبه تنجلي تلك الصورة الغامضة المرسومة عن أيوب في بداية السفر، حيث قيل إنّه «كان كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر» والواقع أنّ هذا الأصحاح يبيّن إدراكاً فائقاً لسجية أيوب. فمبادؤه قليلة الطموح، ولكنها محكمة وقلبية. فهو يحاسب نفسه بمقياس يقارب روح الإنجيل، مقدماً أمثلة رائعة عن سلوكه:

- ١ - لم يلوّث بفساد الآداب (١-١٢).
- ٢ - لم يلوّث بعدم المبالاة (١٣-٢٢).
- ٣ - لم يلوّث بالبخل والطمع (٢٤-٢٥).
- ٤ - لم يلوّث بأي تلهف سري بالأصنام (٢٦-٢٧).
- ٥ - لم يلوّث بمرارة لأعدائه (٢٩-٣٠).
- ٦ - لم يلوّث بعدم الإخلاص (٣٣-٣٤).

كان سلوك أيوب الظاهر نقياً، ولكن ليس أنقى من سريره. فمن جهة شهوة العيون تحصن بنزاهة وقناعة نادرتين، فهو لم يتطلع إلى امرأة ليشتتها. والكلمة تدل على أن طهارة أيوب، نشأت من أصل المبدأ القائل: «خوف الرب هو الحكمة» وفي

نزاهته تحرّر أيوب من الزهو والكذب والغش من أي نوع، حاسباً أنّ كل هذه تفاهة مقنعة.

وفي آدابه النقية، أظهر أيوب أنّ الزنى خطية فظيعة، تستحق العقاب من الله، وتستحق العقاب من الناس. لأنّ الزنى ليس فقط إساءة ضد قداسة الله، بل هو أيضاً إساءة ضد المجتمع. وكانت العقوبة التي شرعها، أدنى درجات الرق لامرأة الزاني، أي أن تصبح جارية تطحن. وأكد أنّ الزنى نار، فيها تهديد بالخراب الشامل للصحة والعائلة والسعادة. وبذلك انسجم مع كاتب سفر الأمثال حين قال: «أَيَأْخُذُ إِنْسَانٌ نَارًا فِي حِضْنِهِ وَلَا تَحْتَرِقُ ثِيَابُهُ؟ أَوْ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجُمْرِ وَلَا تَكْتَوِي رِجْلَاهُ؟ هَكَذَا مَنْ يَدْخُلُ عَلَى امْرَأَةٍ صَاحِبِهِ. كُلُّ مَنْ يَمْسُهَا لَا يَكُونُ بَرِيئًا» (أمثال ٦: ٢٧-٢٩) لينظر كل مؤمن ما أصاب داود عقاباً لزنائه مع بثشبع امرأة أوربّا الحثيّ (صموئيل الثاني ١١)، فهذه الخطية إذا استمرّ الإنسان فيها، تُميت ضميره وتحرمه من جميع الأفراح الطبيعية البيتية وتبعده عن الله.

٣١: ١٣ «إِنْ كُنْتُ رَفَضْتُ حَقَّ عَبْدِي وَأَمْتِي فِي دَعْوَاهُمَا عَلَيَّ، ١٤ فَمَاذَا كُنْتُ أَصْنَعُ حِينَ يَقُومُ اللَّهُ؟ وَإِذَا أَفْتَقَدَ، فَبِمَاذَا أُجِيبُهُ؟ ١٥

أَوَلَيْسَ صَانِعِي فِي الْبَطْنِ صَانِعُهُ، وَقَدْ صَوَّرْنَا وَاحِدًا فِي الرَّحِمِ؟ ١٦ إِنْ كُنْتُ مَنَعْتُ الْمَسَاكِينَ عَنْ مُرَادِهِمْ، أَوْ أَفْنَيْتُ عَيْنِي الْأَرْمَلَةَ، ١٧ أَوْ أَكَلْتُ لُقْمَتِي وَحَدِي فَمَا أَكَلِ مِنْهَا الْيَتِيمَ! ١٨ بَلْ مُنْذُ صِبَايَ كَبِرَ عِنْدِي كَأَبٍ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّي هَدَيْتُهَا. ١٩ إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُ هَالِكًا لِعَدَمِ اللَّبْسِ أَوْ فَقِيرًا بِلَا كِسْوَةٍ، ٢٠ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي حَقْوَاهُ وَقَدْ اسْتَدْفَأَ بِجَزَّةٍ غَنَمِي. ٢١ إِنْ كُنْتُ قَدْ هَزَرْتُ يَدِي عَلَى الْيَتِيمِ لَمَّا رَأَيْتُ عَوْنِي فِي الْبَابِ، ٢٢ فَلْتَسْقُطْ عَضُدِي مِنْ كَتْفِي، وَلْتَنكسر ذِرَاعِي مِنْ قَصَبَتِهَا، ٢٣ لِأَنَّ الْبَوَارَ مِنَ اللَّهِ رُغْبٌ عَلَيَّ، وَمِنْ جَلَالِهِ لَمْ أَسْتَطِعْ.

لم يعتبر أيوب عبده كأملاكه، بل اعتبرهم أناساً لهم حقوق كما لنفسه هو. فقد كان عبده تصلهم حقوقهم دائماً بالعدل. لأنه تذكر أنه يوجد إله في السماء، له يقدم الحساب.

كان الاسترقاق مباحاً في العهد القديم، ولكن قول أيوب وغيره من أقوال الكتاب المقدس يدل على أن الاسترقاق ليس بموجب قصد الله، لما خلق الإنسان وفداه بتجسد المسيح. إذ نقرأ في غلاطية ٣: ٢٧-٢٨ «لِأَنَّ كُلَّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمْ الْمَسِيحَ... لَيْسَ ذِكْرٌ وَأَنْتَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». لم يكن ممكناً لأهل بيت أيوب أن يشتكوا من ظلمه. ولكن

جوده وفضله لم يقتصر على أهل بيته، إنه خرج يطلب الفقراء والأرامل والأيتام.

وإلى جانب أريحيته كان ممتنعاً عن استغلال وظلم الضعيف، مع أنه كان في وسعه أن يستغل نفوذه في التأثير على الأحكام التي يصدرها القضاة. لكنه بالأحرى جعل نفسه عوناً لمن لا عون له، وسنداً لمن لا سند له. والمؤثر جداً في صفاته أن معدته المتخمة بالأطياب، لم تجعله غير مبال بمعد الجياع الفارغة، فلم يوجد أيّ عازر مرتمٍ على أبوابه يلتقط الفتات المتساقط من طعام الكلاب (لوقا ١٦: ٢٠ و ٢١). وبالإجماع كان أيوب كريماً مضيافاً، دون أن ينتظر فرصته لرد الجميل.

٣١ : ٢٤ «إِنْ كُنْتُ قَدْ جَعَلْتُ الذَّهَبَ عُمْدَتِي، أَوْ قُلْتُ لِلِإِبْرِيزِ: أَنْتَ مُتَّكِلِي. ٢٥ إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ إِذْ كَثُرَتْ ثَرَوَاتِي وَلَأَنَّ يَدَيَّ وَجَدْتُ كَثِيراً. ٢٦ إِنْ كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى الثُّورِ حِينَ ضَاءَ، أَوْ إِلَى الْقَمَرِ يَسِيرُ بِالْبَهَاءِ، ٢٧ وَغَوِيَ قَلْبِي سِراً، وَلَسْتُ يَدِي فَمِي، ٢٨ فَهَذَا أَيْضاً إِثْمٌ يُعْرَضُ لِلْقُضَاةِ، لِأَنِّي أَكُونُ قَدْ جَحَدْتُ اللَّهَ مِنْ فَوْقُ. ٢٩» إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ بِبَلِيَّةٍ مُبْغِضِي أَوْ شِمْتُ حِينَ أَصَابَهُ سُوءٌ. ٣٠ بَلْ لَمْ أَدْعُ حَنَكِي يُحْطِئُ فِي طَلَبِ نَفْسِهِ بِلُغْنَةٍ. ٣١ إِنْ كَانَ أَهْلُ

خَيْمَتِي لَمْ يَقُولُوا: مَنْ يَأْتِي بِأَحَدٍ لَمْ يَشْبِعْ مِنْ طَعَامِهِ؟ ٣٢ غَرِيبٌ لَمْ
يَبْتَ فِي الْخَارِجِ . فَتَحَتْ لِلْمُسَافِرِ أَبْوَابِي . ٣٣ إِنْ كُنْتُ قَدْ كَتَمْتُ
كَالنَّاسِ ذَنْبِي لِإِخْفَاءِ إِثْمِي فِي حِضْنِي . ٣٤ إِذْ رَهَبْتُ جُمْهُورًا غَفِيرًا ،
وَرَوَّعْتَنِي إِهَانَةُ الْعَشَائِرِ ، فَكَفَفْتُ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنَ الْبَابِ !

لم يكن أيوب شحيحاً، ولا محبا للمال، فقد صنع لنفسه
أصدقاء بمال الظلم (لوقا ١٦: ٩) وكان موقفه إزاء الثروة عادلاً،
بحيث لم يغفل قط التحذير القائل بضم الرب: «لَا تَقْدِرُونَ أَنْ
تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ» (متى ٦: ٢٤) كما أنه لم يلمس يده تعبدًا للأجرام
السَّماوية، كما كان شائعاً لدى المشاركة في زمنه. وبهذا انسجم
مع الوصية القائلة: «إِذَا وُجِدَ فِي وَسْطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي
يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِهْلَكَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِهْلَكَ
بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ، وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ إِلَهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا، أَوْ لِلشَّمْسِ
أَوْ لِلْقَمَرِ أَوْ لِكُلِّ مَنْ جُنِدَ السَّمَاءِ - الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ أُوصِ بِهِ...
فَأَخْرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلَ أَوْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ الْأَمْرَ الشَّرِيرَ إِلَى
أَبْوَابِكَ... وَأَرْجَمَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ» (تثنية ١٧: ٢-٥).

وكان أيوب يتمتع بروح عالية من ناحية تعامله مع أعدائه، فهو
لم يفرح ببليّة مبغض ولم يشمت بسوء ألمّ به. كما أنه كانت له
الشجاعة للاعتراف بأخطائه، وليس كالذين يكتمون خطاياهم

خوفاً من التعبير والاستهزاء .

٣٥ : ٣١ مَنْ لِي بِمَنْ يَسْمَعُنِي؟ هُوَذَا إِمْضَائِي . لِئَجْبِنِي الْقَدِيرُ .
وَمَنْ لِي بِشَكْوَى كَتَبَهَا خَصْمِي ، ٣٦ فَكُنْتُ أَحْمَلُهَا عَلَى كَتْفِي .
كُنْتُ أَغْصِبُهَا تَاجاً لِي . ٣٧ كُنْتُ أَخْبِرُهُ بَعْدَ خَطَوَاتِي وَأَدْنُو مِنْهُ
كَشْرِيفٍ . ٣٨ إِنْ كَانَتْ أَرْضِي قَدْ صَرَحَتْ عَلَيَّ وَتَبَاكَتْ أَتْلَامُهَا
جَمِيعاً . ٣٩ إِنْ كُنْتُ قَدْ أَكَلْتُ غَلَّتْهَا بِلَا فِضَّةٍ ، أَوْ أَطْفَأْتُ أَنْفُسَ
أَصْحَابِهَا ، ٤٠ فَعَوْضَ الْحِنْطَةِ لِيَنْبُتُ شَوْكٌ وَبَدَلَ الشَّعِيرِ زَوَانٌ .
تَمَّتْ أَقْوَالُ أَيُّوبَ .

إن تذكر أيوب لحياته السابقة في النزاهة تجعله ينفجر بصرخة تكاد تكون طائشة، فيقول: لست مذنباً وبذلك يتحدى السماء التي قالت: «الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ» (رومية ٣: ٢٣) .
والواقع أن أيوب في هذا الأصحاح، ادعى أنه لا صوت لإنسان ولا صوت الله نفسه يمكن أن يربكه . فهو في عيني نفسه بريء من كل التهم التي اجتهد أصحابه أن يلصقوها به .

الصلاة

أها الرب سيدنا، ما أعظم اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات . نشكرك يا إلهنا من أجل النعمة والحق اللذين صارا إلينا

بيسوع المسيح . الذي بالتَّعمة خلَّصنا، وبالحق حرَّرتنا . وتبَّئنا لله قديسين في المحبة . تثبتنا في وضعنا الجديد إلى يومك . آمين .

السؤال

٣٠ - كيف كانت معاملة أيوب لعبيده؟

الأصحاح الثاني والثلاثون ١ فَكَفَّ هُوَ لِأَجْلِ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ عَنْ مُجَابَةِ أَيُّوبَ لِيَكُونَ بَارًّا فِي عَيْنِي نَفْسِهِ ٢٠ فَحَمِي غَضِبَ إِلَيْهِ بَنُ بَرَحْيِيلَ الْبُوزِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَامٍ . عَلَى أَيُّوبَ حَمِي غَضِبَهُ لِأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَبْرَّ مِنْ اللَّهِ . ٣ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضِبَهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَابًا وَأَسْتَدْنَبُوا أَيُّوبَ . ٤ وَكَانَ إِلَيْهِ قَدْ صَبَرَ عَلَى أَيُّوبَ بِالْكَلامِ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَيَّامًا . ٥ فَلَمَّا رَأَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا جَوَابَ فِي أَفْوَاهِ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضِبَهُ .

ذهب بعض العلماء المحدثين إلى القول بأن قسم إليه لم يكن جزءاً أصلياً من سفر أيوب . وإنما هو قسم أدرجه فيه كاتب آخر، وغايته إصلاح الغلط وتكملة الكلام . والسند لهذا الرأي، هو كون اسم إليه لم يذكر في مقدمة السفر مع الأصحاب الثلاثة . ولكن أكثرية العلماء تؤكد أن خطابات إليه هي أصلية غير دخيلة . وفي مقدمة العلماء المؤكدين: سلن، وبود، وكورنل، وكمبهاوزن، وبادر

وبيترز.

من خصائص خطابات أليهو وجود عميق من احترام الله فيها، ووجهة نظر عن الخطية أعمق من التي ظهرت في خطابات الأصحاب الثلاثة الآخرين. ومن أبرز ما جاء في كلامه أنه أظهر الله كمعلم البر الأوحده، الذي غاية أن يقتاد الإنسان إلى حياة روحية كاملة، عن طريق تهذيبه بالآلام.

ولا ريب أن المتأمل في أقوال أليهو يتبين أن أهم وظيفة لخطاباته، هي كشف مميزات أيوب الأكثر خطراً، الكبرياء الروحية، التي هي مرض الكثيرين من الأتقياء. قال رجل الله أغسطينوس: الكبرياء خطية فظيعة، يرتكبها الإنسان دون الانتباه إليها. إنها سرطان أكلو يلتهم ما في قلبنا من التفكير الصادق، والشعور الحيّ نحو الأخ الضعيف.

٣٢: ٦ فَقَالَ أَلِيهُو بْنُ بَرَحْخِيلِ الْبُوزِيِّ: «أَنَا صَغِيرٌ فِي الْأَيَّامِ وَأَنْتُمْ شُيُوخٌ، لِأَجْلِ ذَلِكَ خِفْتُ وَخَشَيْتُ أَنْ أُبْذِيَ لَكُمْ رَأْيِي. ٧ قُلْتُ: الْأَيَّامُ تَتَكَلَّمُ وَكَثْرَةُ السِّنِينَ تُظْهِرُ حِكْمَةً. ٨ وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحاً وَنَسَمَةً الْقَدِيرِ تَعْقِلُهُمْ. ٩ لَيْسَ الْكَثِيرُ الْأَيَّامِ حُكْمَاءَ وَلَا الشُّيُوخُ يَفْهَمُونَ الْحَقَّ. ١٠ لِذَلِكَ قُلْتُ أَسْمَعُونِي. أَنَا أَيْضاً أُبْذِيَ رَأْيِي. ١١

هَذَا قَدْ صَبِرْتُ لِكَلَامِكُمْ. أَضَعَيْتُ إِلَى حُجَجِكُمْ حَتَّى فَحَصْتُمْ
 الْأَقْوَالَ. ١٢ فَتَأَمَّلْتُ فِيكُمْ وَإِذْ لَيْسَ مَنْ حَجَّ أَيُّوبَ، وَلَا جَوَابَ
 مِنْكُمْ لِكَلَامِهِ. ١٣ فَلَا تَقُولُوا: قَدْ وَجَدْنَا حِكْمَةً. اللَّهُ يَغْلِبُهُ لَا
 الْإِنْسَانَ. ١٤ فَإِنَّهُ لَمْ يُوجِّهْ إِلَيَّ كَلَامَهُ وَلَا أَرَدُّ عَلَيْهِ أَنَا بِكَلَامِكُمْ. ١٥
 تَحَيَّرُوا. لَمْ يُجِيبُوا بَعْدُ. انْتَزَعَ عَنْهُمْ الْكَلَامَ.

إلى هنا كان أليهو ملتزماً بالصمت. وقد أشار إلى سبب
 صمته، وهو الاحترام الذي يكتنه شاب مثله نحو شيوخ متسربلين
 بالوقار. غير أنه حين لاحظ تجاوز الأصحاب حدود الحوار البناء،
 ورأى فشلهم في إزالة شكوك أيوب، أو الرد على حججه
 بموضوعية، اضطرت الغيرة للحق للدخول في النقاش. ويبدو أنه
 في أثناء صمته، اضطرم في صدره عاملان: عامل الغضب ضد
 أيوب بسبب كلامه، الذي به تجرأ أن يعوجَّ القضاء. وعامل
 الاستياء من الأصحاب بسبب فشلهم في تنفيذ آراء أيوب.

صحيح أن أقوال الأصحاب الثلاثة الآخرين احتوت على أفكار
 علاجية، ولكن ليست بنفس القيمة التي ظهرت في كلمات أليهو.
 وخصوصاً لأن خطاباتهم المسهبة لم تستطع إقناع أيوب بأنه أخطأ في
 الموقف الذي اتخذه. ولأنهم لم يستمروا بالنقاش، واعتبروه بلا فائدة
 أمام إصرار أيوب على اقتناعه ببره الذاتي. ولهذا حين وجَّه الكلام

إليهم، قال: أَصْغَيْتُ إِلَى حُجَجِكُمْ... ولكن ليس فيكم من حجّ
أيوب... فلا تقولوا قد وجدنا عنده حكمة لم يستطع أحدنا أن
يقاومها.

لم يكن لهم أن يعتذروا بهذا القول، لأنّ عدم نجاحهم في
المحاورة، ليس من قوّة حجج أيوب، بل من ضعف حججهم.
قال اليهوديّ أنّه يقدر أن يجاب أيوب ولكن لا يجاوبه بمنطق
الأصحاب الثلاثة الفاشلين، بل ببراهين أقوى.

٣٢: ١٦ فَانْتَهَرْتُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا. لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا، لَمْ يُجِيبُوا بَعْدُ. ١٧
فَأَجِيبُ أَنَا أَيْضاً حِصَّتِي، وَأُبَدِي أَنَا أَيْضاً رَأْيِي. ١٨ لِأَنِّي مَلَأَنُّ
أَقْوَالاً. رُوحٌ بَاطِنِي تُضَايِقُنِي. ١٩ هُوَذَا بَطْنِي كَحَمْرٍ لَمْ تُفْتَحْ.
كَالزَّقَاقِ الْجَدِيدَةِ يَكَادُ يَنْشَقُّ. ٢٠ أَتَكَلَّمُ فَأُفْرَجُ. أَفْتَحُ شَفَتِي
وَأَجِيبُ. ٢١ لَا أَحَابِينَ وَجْهَ رَجُلٍ وَلَا أَمْتَلِقُ إِنْسَاناً. ٢٢ لِأَنِّي لَا
أَعْرِفُ التَّمَلَّقَ. لِأَنَّهُ عَن قَلِيلٍ يَأْخُذُنِي صَانِعِي.

هنا غيرّ أليهو كلامه من صيغة المخاطبين إلى صيغة الغائبين.
ولعله كان يوجّه كلامه إلى جميع السامعين من أهل القرية، وفي هذا
شيء من عدم تقدير الأصحاب الثلاثة. ثم خاطب نفسه، كأنه
يتأمل بأيّ كلام يعبر عن أفكاره. كان في قبضة الاضطراب

للكلام، لأنّه كاد ينفجر بسبب غيرته وشعوره بأنّه يدافع عن حق الله . والكلام وحده هو الذي كان يقدر أن يخفف التوتر في داخله . وبكلمة أخرى كانت عليه ضرورة الكلام، كما كانت على بولس ضرورة البشارة (كورنثوس الأولى ١٦:٩) وتدل لهجة أليهو أنه كان يقول الحق، ولا يحايي الذين هم أكبر منه سناً، ولا يملث، (يُطيّب نفسه بوعده لا ينوي وفاءه) لأنّه شعر بأنه واقف أمام الله، وليس أمام الناس فقط . وذكر أنه عن قريب سيقف أمام عرش الله ليعطي حساباً عن كل ما عمل، وكل ما تركه من الواجبات . فكان في ذلك مثلاً لكل واعظ .

الأصحاح الثالث والثلاثون ١ «وَلَكِنْ أَسْمَعِ الْآنَ يَا أَيُّوبُ أَقْوَالِي، وَأَضَعِ إِلَى كُلِّ كَلَامِي . ٢ هُنَذَا قَدْ فَتَحْتُ فَمِي . لِسَانِي نَطَقَ فِي حَنَكِي . ٣ اسْتِقَامَةُ قَلْبِي كَلَامِي وَمَعْرِفَةُ شَفَتِي هُمَا تَنْطِقَانِ بِهَا خَالِصَةً . ٤ رُوحَ اللَّهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةَ الْقَدِيرِ أَحْيَيْتَنِي . ٥ إِنْ اسْتَطَعْتَ فَأَجِبْنِي . أَحْسِنِ الدَّعْوَى أَمَامِي . انْتَصِبْ . ٦ هُنَذَا حَسَبَ قَوْلِكَ عَوْضاً عَنِ اللَّهِ . أَنَا أَيْضاً مِنَ الْطِينِ جُبِلْتُ . ٧ هُوَذَا هَيْبَتِي لَا تَرْهَبُكَ وَجَلَالِي لَا يَتَّقُلُ عَلَيْكَ .

يستهل أليهو هذا القسم من خطابه بالتأكيد لأيوب أنه أولاً

مخلص للغاية، ويتكلم من القلب مباشرة. وثانياً أنه على نفس مستوى أيوب بالضبط في اعتماد المخلوق على الخالق. وأنه يتكلم معه بالاعتناء المعطى له بروح الله.

كان أيوب قد طلب أن يسمع الكلام المستقيم (٢٥:٦) وأن يتصالح مع الله (٣٣:٩). فكلمه أليهو باستقامة قلب، قائلاً هأنذا إنسان مثلك جبلت من الطين، بحيث لا يرهبك منظري. وعلى ضوء الحكمة التي وضعها الله في قلبي، يمكنني أن أفحص دعواك للمصالحة مع الله. لأنّ موقفي إزاء الله كموقفك. لهذا أستطيع أن أملك وجهة نظرك، لأنّ نسمة القدير عقّلتني، بحيث أستطيع وزن الأمور بميزان الله.

٣٣: ٨ «إِنَّكَ قَدْ قُلْتَ فِي مَسَامِعِي، وَصَوْتَ أَقْوَالِكَ سَمِعْتُ. ٩ قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلا ذَنْبٍ. زَكِيٌّ أَنَا وَلَا إِثْمَ لِي. ١٠ هُوَذَا يَطْلُبُ عَلَيَّ عِلَلٌ عَدَاوَةٍ. يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ. ١١ وَضَعَ رِجْلِي فِي الْمِقْطَرَةِ. يُرَاقِبُ كُلَّ طُرُقِي ١٢. هَا إِنَّكَ فِي هَذَا لَمْ تُصِبْ. أَنَا أُجِيبُكَ. لِأَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنَ الْإِنْسَانِ.»

هلا علمت أنّ الإنسان لا برّ له، وأنّه ليس من كامل سوى الله. وأنت لم تصب في حسابان الله عدواً لك. لأنّ الله أعظم من

الإنسان، ولا يليق أن نشكوه. عند الله أكثر من سبب لحجب وجهه عنا. ولكن شكراً للفاذي يسوع، الذي حين أكمل الفداء على الصليب مزّق الحجاب، وأعطى كل من يؤمن به امتياز الدخول إلى أقداس الله ليعبده بالروح والحق.

لا يا أيوب، إن الله لا يمكن أن يتخذ دور منازع يشترك في عراق بشري زهيد. ولكن بينما لا يتكلم الله كمنازع، فإنه يتكلم كالإله الجدير بالقدرة، عن طريق خدمات الرحمة. ومع ذلك، فأيوب في حيرته، فاته أن يتذكر هذه الحقيقة.

الصلاة

قدوس. قدوس، قدوس، رب الجنود، مجده ملء كل الأرض. قلوبنا ترتفع إليك بالشكر والحمد والتسبيح، لأننا إذ كنّا في حالة العداوة بسبب خطايانا، صالحتنا معك بالفداء بيسوع المسيح، الذي رفع خطايانا، وقربنا إليك لكي نعبدك بالروح والحق. آمين.

السؤال

٣١ - ما هي أهم وظيفة لخطابات أليهو؟

٣٢ - بَمَ استهلّ أليهو خطابه لأيوب؟

٣٣: ١٣ لِمَاذَا تُخَاصِمُهُ؟ لِأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لَا يُجَابِبُ عَنْهَا. ١٤ لَكِنَّ اللَّهَ

يَتَكَلَّمُ مَرَّةً، وَبِأَثْنَتَيْنِ لَا يَلَاحِظُ الْإِنْسَانَ. ١٥ فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ،
عِنْدَ سُقُوطِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ، فِي النَّعَاسِ عَلَى الْمَضْجَعِ. ١٦ حِينَئِذٍ
يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ وَيَخْتِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ، ١٧ لِيَحْوِلَ الْإِنْسَانَ عَنْ
عَمَلِهِ وَيَكْتُمَ الْكِبْرِيَاءَ عَنِ الرَّجُلِ ١٨ لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْحَفْرَةِ
وَحَيَاتِهِ مِنَ الزَّوَالِ بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ. ١٩ أَيْضاً يُؤَدِّبُ بِالْوَجَعِ عَلَى
مَضْجَعِهِ، وَمُخَاصِمَةِ عِظَامِهِ دَائِمَةً، ٢٠ فَتَكْرَهُ حَيَاتُهُ خُبْرًا وَنَفْسُهُ
الطَّعَامَ الشَّهِيَّ. ٢١ فَيَنْبَلِي لِحَمُّهُ عَنِ الْعَيَانِ وَتَنْبَرِي عِظَامُهُ فَلَا
تُرَى، ٢٢ وَتَقْرُبُ نَفْسُهُ إِلَى الْقَبْرِ وَحَيَاتُهُ إِلَى الْمُمِيتِينَ. ٢٣ إِنْ وَجِدَ
عِنْدَهُ مُرْسَلٌ، وَسَيْطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلْإِنْسَانِ أَسْتِقَامَتَهُ.

إنَّ حجة أيوب كانت أنَّ الله عامله بالاستبداد. وألوهو يثبت
أنَّ الأمر لم يكن هكذا، لأنَّ الله أعظم من الإنسان، ولا يسلك في
طريق الاستبداد وأنَّه لمن الجهالة أن يخاصمه الإنسان، أو أن
يشتكى، لأنه لا يجيب. لأنَّ الله يتكلم بطرق مختلفة، بأحلام
برؤى الليل، التي بها يترك ختم تعليماته على العقول البشرية،
ويسترد الناس عن المقاصد الشريرة. وهو في جلاله وعظمته، لا
يتحتم عليه أن يقدم حساباً عن تصرفاته في سياسة البشر.
وخصوصاً لأنَّ الإنسان ضعيف محدود الفكر، فلا يستطيع أن يلم
بكل مقاصد الله. وهو يتكلم للإنسان بالألم، حتى إذا قبل

التأديب، يتدرّب فيه إلى أن تنطبع عليه صورة خالقه. وحينئذ تظهر في حياته ثمار الروح، كالمحبة والفرح والسلام وطول الأناة والوداعة. قال أحد الأتقياء: لو أخذنا قطعة حديد ثمنها خمسة دولارات وصنعنا منها نعلاً للفرس لارتفعت قيمتها إلى عشرة دولارات. أمّا إذا صنعنا منها إبراً للخياطة، فيصبح ثمنها ٣٥٥ دولاراً. وإذا صنعنا منها شفرات حلاقة تبلغ قيمتها ٣٢٨٠ دولاراً. وإذا صنعنا منها رقاصات للساعات، فإن ثمنها يصل إلى ٢٥٠٠٠ دولاراً. ولو كانت هذه تستطيع الكلام، وسألناها ما الذي جعل قيمتها ترتفع على هذه الصورة، لأجابت: إنه احتمال الآلام في الأفران المتقدمة وضربات المطارق والصقل. هكذا أنت يا أخي إذا احتملت أفران التجارب ومطارق الآلام تزداد قداسة. تأكد من صلاح الله، حين يبلوك ويعجم (ويمتحن) عودك. لأنه له المجد يريد أن يمنعك من ارتكاب المعاصي، ويحفظك من عقابها، الذي هو الهلاك. قد يجرمك الوجد من مرحك وشهيتك وصحتك، وقد يأتي بك إلى براثن الموت. ولكن في هذه كلها فرصة لعناية الله، لكي تفعل في تهذيبك وردك إلى سبل البر.

٣٣: ٢٤ يَتَرَفُّ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أُطْلِقُهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحَفْرَةِ، قَدْ

وَجَدْتُ فِدْيَةً . ٢٥ يَصِيرُ لَحْمَهُ أَنْضَرَ مِنْ لَحْمِ الصَّبِيِّ وَيَعُودُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ . ٢٦ يُصَلِّي إِلَى اللَّهِ فَيَرْضَى عَنْهُ، وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ بِهَتَافٍ فَيَرُدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ بِرَّهُ . ٢٧ يُعَنِّي بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: قَدْ أَخْطَأْتُ وَعَوَّجْتُ الْمُسْتَقِيمَ وَلَمْ أُجَازَ عَلَيْهِ . ٢٨ فَدَى نَفْسِي مِنَ الْعُبُورِ إِلَى الْحُفْرَةِ، فَتَرَى حَيَاتِي النَّوْرَ .

في هذه الآيات خلاصة الكلام السابق عن تكلم الله بالحلم والتأديب أو بمرسل، وبالنتيجة ينتبه الإنسان ويتوب . فيترأف الله عليه، ويرد له صحة النفس مع الفرح الذي هو ثمرة المؤمن الملازمة . وفرح النفس ينتج شهادة وفرحة للآخرين عن معاملات الله مع النفس .

صحيح أن الإنسان ولو تاب، لن يرجع إلى شبابه كما يفهم ظاهرياً من العدد ٢٥ . ولكنّه على أيّ حال ينال الصفح عن آثامه، و«طوبى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيئَتُهُ» (مزمور ٣٢: ١) . لأنّه يبتهج بالغفران، ويُسرّ برضى الله ويُعاين وجهه . قال يوحنا فم الذهب: «إنّ الذين يعاينون وجه الله وهو راضٍ عنهم يذوقون أفراح السماء وهم على الأرض» . هذه الغبطة المجيدة تذوّقها إشعياء النبي فكتب تسبيحته الرائعة: «فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ . تَبْتَهِّجُ نَفْسِي بِالْهِي، لِأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخُلَاصِ . كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ»

(إشعياء ٦١: ١٠).

وتغنى داود بفضل الله ذي الرأفة، فقال: «الرَّبُّ رَحِيمٌ
وَرَوْوْفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. لَا يُحَاكِمُ إِلَى الأَبَدِ وَلَا يَحْقِدُ
إِلَى الدَّهْرِ. لَمْ يَصْنَعْ مَعَنَا حَسَبَ خَطَايَانَا، وَلَمْ يُجَازِنَا حَسَبَ آثَامِنَا.
لِأَنَّهُ مِثْلُ أَرْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ.
كَبُعدِ المَشْرِقِ مِنَ المَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِينَا. كَمَا يَتَرَأَفُ الأَبُ
عَلَى الأَبْنَيْنِ يَتَرَأَفُ الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ» (مزمور ١٠٣: ٨-١٣).

وجاء في سفر حزقيال: «حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لَا أُسْرُ
بِمَوْتِ الشَّرِيرِ، بَلْ بَأَن يَرْجِعَ الشَّرِيرُ عَن طَرِيقِهِ وَيَحْيَا» (حزقيال
٣٣: ١١).

فهذه الشهادات تظهر لنا خطأ شكوى أيوب، حين قال إن الله
يقتحمه، مع أنه لا ظلم في يده. وإن الله، إن كان لا يعامل الإنسان
حسب خطاياهم، وإن كان لا يسر بموت الشرير، بل بالحري بتوبته
ليحيا، فإنه لمن التجنبي على جلاله أن ينسب إليه أحد الظلم!

٣٣: ٢٩ «هُودَا كُلُّ هَذِهِ يَفْعَلُهَا اللهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا بِالأِنْسَانِ، ٣٠ لِيَرُدَّ
نَفْسَهُ مِنَ الحُفْرَةِ، لِيَسْتَنِيرَ بِنُورِ الأَحْيَاءِ. ٣١ فَاصْغِ يَا أَيُّوبُ وَأَسْتَمِعْ
لِي. أَنْصِتْ فَأَنَا أَتَكَلَّمُ. ٣٢ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ كَلَامٌ فَأَجِيبْنِي. تَكَلَّمْ.»

فَإِنِّي أُرِيدُ تَبْرِيرَكَ . ٣٣ وَإِلَّا فَاسْتَمِعْ أَنْتَ لِي . أَنْصَتَ فَأَعْلَمَكَ
الْحِكْمَةَ .

يتكلم الله للإنسان مرات كثيرة وبطرق مختلفة، منها التأديب الذي غاية الله منه أن يخلص الإنسان . ويريه ما هو حق، وينقذه من الهبوط إلى الحفرة، ولكي ينيره بنور الأحياء . وأخيراً يسأل أليهو أيوب إن كان لديه ما يجيب به على حججه، إذا شاء ذلك، وإلا فليسكت ويتعلم حكمة مما سمع .

الصلاة

نشرك يا إلهنا، لأنك لا تخاصم احداً، ولا تحقد على أحد . وحين أخطأنا وسقطنا تولتتنا محبتك المدبرة بالفداء والغفران، وأعدت كل الوسائل لكل ساقط أن ينهض، ولكل ضال أن يوجد، ويعود إليك ابناً مكرماً . آمين .

السؤال

٣٣- ما هو وجه الخلاف بين أيوب وأليهو؟

الأصحاح الخامس والثلاثون ١ وَقَالَ أَلِيهُو: ٢ «أَتَحْسِبُ هَذَا حَقًّا؟ قُلْتَ: أَنَا أَبْرُّ مِنَ اللَّهِ. ٣ لِأَنَّكَ قُلْتَ: مَاذَا يُفِيدُكَ؟ بِمَاذَا أَنْتَفِعُ أَكْثَرَ مِنْ خَطِيئَتِي؟ ٤ أَنَا أَرَدُّ عَلَيْكَ كَلَامًا وَعَلَى أَصْحَابِكَ مَعَكَ. ٥ أَنْظِرْ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَأَبْصِرْ وَلَا حِظِّ الْعَمَامِ. إِنَّهَا أَعْلَى مِنْكَ. ٦ إِنْ أَخْطَأْتَ

فَمَاذَا فَعَلْتَ بِهِ؟ وَإِنْ كَثُرَتْ مَعَاصِيكَ فَمَاذَا عَمِلْتَ لَهُ؟ ٧ إِنْ كُنْتَ بَارًّا
فَمَاذَا أَعْطَيْتَهُ، أَوْ مَاذَا يَأْخُذُهُ مِنْ يَدِكَ؟ ٨ لِرَجُلٍ مِثْلِكَ شَرِكٌ، وَلَا بَنِي آدَمَ
بُرْكَ .

كانت مناقشة أيوب أن البر لا ينفع الإنسان أكثر من الخطية .
والنفع الذي أشار إليه أيوب هو النفع في الجسديات وخصوصاً
الصحة والراحة . ولم ينظر إلى الأفراح الروحية كما نظر إليها داود
بنُ يَسَى حين قال: «وَلِكِنِّي دَائِمًا مَعَكَ . أَمْسَكْتَ بِيَدِي
الْيُمْنَى . بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذْنِي . مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟
وَمَعَكَ لَا أُرِيدُ شَيْئًا فِي الْأَرْضِ . قَدْ فَنِيَ لِحْمِي وَقَلْبِي . صَخْرَةٌ
قَلْبِي وَنَصِيبِي اللَّهُ إِلَى الدَّهْرِ» (مزمو ٧٣: ٢٣-٢٦) .

إنَّ الذي أثار أيوب، هو أنه حين نظر إلى الخيرات الجسدية،
ورأى أنها تُعْطَى أحياناً للأشرار وليس للأبرار، حكم أن الله ليس
عادلاً . وقال من هو القدير حتى نعبده . وماذا ننتفع إن
التمسناهُ؟ (٢١: ٢٥) هذا تدمر صارخ . ومن يتدمر على الله، يجعل
نفسه أبر من الله . ولهذا فتد أليهو شكوى أيوب قائلاً له: أتحسب
هذا من حَقِّكَ، أن تزعم أنك أبر من الله، وتدعو هذا دعواك العادلة؟
كل من نظر إلى السموات وتأمل، يتذكر قول المرتَّم الحلو:
«فَمَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَأَبْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ!» (مزمو ٧٣)

٤:٨) فَإِنَّ اللَّهَ كَامِلٌ فِي ذَاتِهِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى خِدْمَةِ النَّاسِ . وبدهي أن هذا الإله الذي وُصف بأنه صالح وإلى الأبد رحمته، لا يمكن أن يظلم خلائقه . ولا يطمع في أي شيء منهم، لأن له كل شيء . وقد اعترف أليفاز بهذه الحقيقة حين قال: هل ينفع الإنسان الله؟ بل ينفع نفسه الفطن . هل من مسرةٍ للقدير إذا تبررت، أو من فائدة إذا قومت طرقتك (٢:٢٢) . أما أليهو فقد أكد في جوابه لأيوب أن الفضيلة البشرية أو الرذيلة، لا تقدر أن تجلب أي منفعة إلى الله المتسامي .

٣٥: ٩ مِنْ كَثْرَةِ الْمَظَالِمِ يَصْرُخُونَ . يَسْتَعِيثُونَ مِنْ ذِرَاعِ الْأَعْرَاءِ . ١٠
وَلَمْ يَقُولُوا: أَيِنَّ اللَّهَ صَانِعِي، مُؤْتِي الْأَغَانِي فِي اللَّيْلِ؟ ١١ الَّذِي يُعَلِّمُنَا
أَكْثَرَ مِنْ وُحُوشِ الْأَرْضِ، وَيَجْعَلُنَا أَحْكَمَ مِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ . ١٢ ثُمَّ
يَصْرُخُونَ مِنْ كِبَرِيَاءِ الْأَشْرَارِ وَلَا يَسْتَجِيبُ . ١٣ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا
يَسْمَعُ كَذِبًا وَالْقَدِيرُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ . ١٤ فَإِذَا قُلْتَ إِنَّكَ لَسْتَ تَرَاهُ،
فَالدَّعْوَى قُدَّامَهُ، فَاصْبِرْ لَهُ . ١٥ وَأَمَّا الْآنَ فَلِأَنَّ غَضَبَهُ لَا يُطَالِبُ،
وَلَا يُبَالِي بِكَثْرَةِ الزَّلَّاتِ، ١٦ فَغَرَ أَيُّوبُ فَاهُ بِالْبَاطِلِ، وَكَبَرَ الْكَلَامَ بِلَا
مَعْرِفَةٍ .

لقد أشار أيوب إلى حوادث نجاح الأشرار وآلام الأبرار . وأليهو سلّم بهذا . ولكنه يقول إنّه عندما يتألم الأبرار، ويصرخون إلى الله ولا

ينالون سؤلهم، فذلك لأنهم لا يقدمون الطلبة الصحيحة. فقط هم يصرخون كصراخ وحوش الأرض، ولمجرد كونهم يتألمون، لا من شعور الثقة والإيمان بحكم الله البار. ولعلمهم لا ينالون جواباً، لأنهم مستكبرون، والله يقاوم المستكبرين. ولا يستجيب للمرتابين، فكم بالحري إذا بلغوا في ارتياهم المرحلة التي بلغها أيوب، الذي يقول إنه لا يستطيع أن يرى الله (٨: ٣٣) وإنَّ الله لا يسمعه (٣: ٣٣).

الله لا يسمع كذباً، قال إليهو. أي أنه لا يستجيب صلاة الصارخين التي تخرج من قلب غير طاهر. فإن كنت لا تراه يا أيوب، فالدعوى قدامه فاصبر له. ومعنى ذلك أنه وإن كان الله يظهر أنه غير مكترث لصراخ المتضايقين، فهو لا يجهل الشر والدعوى تأتي أمامه، وإن حكمه على الشر محتوم. لذلك يجب أن نصبر له، حتى يظهر نفسه بمداخلته العادلة. هذه الحقيقة اختبرها داود وكتبها للأجيال وصية خالدة: «أنتظر الرب وأصبر له، ولا تغر من الذي ينجح في طريقه، من الرجل المجرى مكاید» (مزمو ٧: ٣٧).

وخاصة كلام إليهو أن الله لا يظلم الناس، لأن الله ليس كملوك العالم الذين يظلمون رعاياهم، لكي يربحوا منهم. وإنه

بهتم بخلائقه المظلومين، ويستجيب صلاتهم. غير أنه يطلب منهم الإيمان، والصلاة بنية مخلصه، والصبر في انتظار الجواب.

الصلاة

أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكَوَتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. خُبِّرْنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. وَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. وَلَا تَدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِيرِ. لِأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمُجْدَ، إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ.

السؤال

٣٤ - ماذا في مناقشة أيوب؟

الأصحاح الثامن والثلاثون ١ فَقَالَ الرَّبُّ لِأَيُّوبَ مِنْ الْعَاصِفَةِ: ٢ «مَنْ هَذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلَامٍ بِلَا مَعْرِفَةٍ؟ ٣ أَشَدُّدِ الْأَنْ حَقْوِيكَ كَرَجُلٍ، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتَعَلَّمْنِي. ٤ أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الْأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ. ٥ مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ لِأَنَّكَ تَعَلَّمْتَ! أَوْ مَنْ مَدَّ عَلَيْهَا مِطْمَارًا؟ ٦ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قَرَّرْتَ قَوَاعِدَهَا، أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا، ٧ عِنْدَمَا تَرْتَمَّتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللَّهِ؟ ٨ «وَمَنْ حَجَزَ الْبَحْرَ بِمِصَارِيحَ حِينَ أَنْدَفَقَ فَخَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ. ٩ إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِبَاسَهُ وَالضَّبَابَ قِمَاطَهُ ١٠ وَجَزَمْتُ عَلَيْهِ حَدِّي

وَأَقَمْتُ لَهُ مَغَالِيقَ وَمَصَارِيعَ، ١١ وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلَا تَتَعَدَّى، وَهُنَا
تُنْحَمُّ كِبْرِيَاءُ لُجُجِكَ؟

بعد المناقشات الحادة بين أيوب وأصحابه، والتي لم تؤدِّ إلى
نتيجة حاسمة، سطر كاتب السفر بإلهام الروح القدس رد الله على
أيوب. وقبل أن نتأمل في هذا الرد الإلهي، يجب أن نشير إلى أن
أيوب وأصحابه، لم يعرفوا الله بواسطة إعلانات الكتاب المقدس،
بل عرفوه كما أعلن في الطبيعة. ولهذا نطقوا بتلك الأقوال البليغة،
عن أعمال الله في تكوين العوالم، وحكمته الفائقة ومحبته، التي
ظهرت في عنايته بالمخلوقات كالأرض والبحر والنور والمطر
والأجرام الفلكية والكائنات الحية.

وقد اعترفوا بأنه وإن كان الإنسان أعظم خلائق الله، فهو لا
يقدر أن يدرك كل أعمال الله في الخليقة وفي سياسته للبشر.
فعلى أيوب إذن أن يؤمن بأن الله، إنما يعمل كل شيء حسناً،
وبالحكمة والمحبة والعدل. وأن يتكل على الله، ويسلك معه
بتواضع وتسليم كامل. وأن يوقن أن معاملات الله معه، لا تسير
بطريقة المصادفة، أو كيفما اتفق، لكنها تسير بمقتضى تخطيط إلهي
مرسوم. فهذا الإله المتصف بالقدرة والحكمة الفائقتين، لا يليق
بالإنسان أن يخاصمه، أو يناقض حكمه، أو يستذنبه، أو

يستظلمه، متكلماً بلا معرفة.

كان أيوب قد اشتهى وسيط صلح بينه وبين الله . لكي يرفع عنه عصا القدير، فلا يبغته رعبه . فلم يعطه الرب سؤاله كما طلب، بل ظهر له في العاصفة . وغايته كما يبدو لنا أن يوبّخه على جسارته في حكمه على العدل الإلهي . وأن يأتي به إلى الإيمان والتسليم، فيجد السلام والراحة .

هكذا أظهر الرب ذاته لإيليا، أولاً بريح عظيمة . ثم بزلزلة وبعد بالنار . ولكنه في الأخير كلمه بصوت خفيف خفيض، وصل إلى قلبه . والأرجح أن الصوت الذي سمعه أيوب، كان بقلبه . فشعر بأنّ الرب حاضر، وأنّ حضوره الإلهي، كان أفضل حل للمشكلة . من هذا المتجاسر، الذي ينسب الظلم إلى قضائي الصالح العادل؟ من هذا المتكلم بلا معرفة؟ تشدّد أمها الرجل المتخاذل واسمع ما أقول! هكذا أجاب الرب أيوب من عاصفة المجد . هل شاركتني في خلق العوالم وما فيها؟ وهل كنت لي مشيراً حين أسست الأرض ورنمت أصوات الملائكة بنشيد المجد والحمد؟ وهل تدرك حكمتي في وضع الحواجز للبحر لكي لا تطفو لججه؟

٣٨ : ١٢ «هل في أيّامك أمرت الصّبح؟ هل عرّفت الفجر موضعه ١٣

لِيُمْسِكَ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيُنْفِضَ الْأَشْرَارَ مِنْهَا؟ ١٤ تَتَحَوَّلُ كَطِينِ
 الْحَاتِمِ، وَتَقِفُ كَأَنَّهَا لَا بَسَّةَ. ١٥ وَيُمْنَعُ عَنِ الْأَشْرَارِ نُورُهُمْ، وَتَنْكَسِرُ
 الذَّرَاعُ الْمُرْتَفِعَةُ ١٦. «هَلِ أَنْتَهَيْتَ إِلَى يَنَابِيعِ الْبَحْرِ، أَوْ فِي مَقْصُورَةِ
 الْعَمْرِ تَمْشَيْتَ؟ ١٧ هَلِ أَنْكَشَفْتَ لَكَ أَبْوَابَ الْمَوْتِ، أَوْ عَايَنْتَ
 أَبْوَابَ ظِلِّ الْمَوْتِ؟ ١٨ هَلِ أَدْرَكْتَ عَرْضَ الْأَرْضِ؟ أَخْبِرْ إِنْ عَرَفْتَهُ
 كُلَّهُ! ١٩ «أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ الثُّورُ، وَالظُّلْمَةُ أَيْنَ مَقَامُهَا،
 ٢٠ حَتَّى تَأْخُذَهَا إِلَى تَحُومِهَا وَتَعْرِفَ سُبُلَ بَيْتِهَا؟

يتابع القدير أسئلته إلى أيوب: هل تدرك عنايتي في تحديد
 وقت انبلاج الفجر، بحيث لا يتقدم ولا يتأخر؟ وهل تستطيع أن
 تفحص البحر، لتعلم مصدر مياهه؟ وهل أدركت أسرار الموت،
 وعلمت ما هو مصير الإنسان بعده؟ وهل أدركت عرض الأرض،
 ومصدر النور وعلّة الظلمة؟

٣٨: ٢١ تَعْلَمُ، لِأَنَّكَ حِينَئِذٍ كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ، وَعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثِيرٌ! ٢٢
 «أَدَخَلْتَ إِلَى خَزَائِنِ الثَّلْجِ، أَمْ أَبْصَرْتَ مَخَازِنَ الْبَرَدِ ٢٣ الَّتِي أَبْقَيْتَهَا
 لَوَقْتِ الضَّرِّ، لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟ ٢٤ فِي أَيِّ طَرِيقٍ يَتَوَرَّعُ النُّورُ
 وَتَتَفَرَّقُ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ؟ ٢٥ مَنْ فَرَعَ قَنَوَاتٍ لِلْهَطْلِ
 وَطَرِيقًا لِلصَّوَاعِقِ ٢٦ لِيَمُطَرَ عَلَى أَرْضٍ حَيْثُ لَا إِنْسَانَ، عَلَى قَفْرِ

لَا أَحَدَ فِيهِ، ٢٧ لِيُرْوِيَ الْبَلْقَعَ وَالْخَلَاءَ وَيُنْبِتَ مَخْرَجَ الْعُشْبِ؟ ٢٨
«هَلْ لِلْمَطْرِ أَبٌ، وَمَنْ وَلَدَ مَا جَلَّ الطَّلُّ؟ ٢٩ مِنْ بَطْنٍ مَنْ خَرَجَ
أَجْلِيدُ؟ صَقِيعُ السَّمَاءِ، مَنْ وَلَدَهُ؟ ٣٠ كَحَجَرٍ صَارَتْ الْمِيَاهُ.
أَخْتَبَاتُ. وَتَلَكَّدَ وَجْهَ الْعَمْرِ ٣١.» هَلْ تَرِبْتُ أَنْتَ عُقْدَ الثَّرِيَّا أَوْ
تَفْكُ رِبْطَ الْجَبَّارِ؟ ٣٢ أَخْرَجُ الْمَنَازِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَتَهْدِي النَّعْشَ مَعَ
بَنَاتِهِ؟ ٣٣ هَلْ عَرَفْتَ سُنْنَ السَّمَاوَاتِ أَوْ جَعَلْتَ تَسَلُّطَهَا عَلَى
الْأَرْضِ؟ ٣٤ أَتَرَفَعُ صَوْتَكَ إِلَى السُّحْبِ فَيُعْطِيكَ فَيُضُّ الْمِيَاهِ؟ ٣٥
أَتُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَذْهَبُ وَتَقُولُ لَكَ: هَا نَحْنُ؟ ٣٦ مَنْ وَضَعَ فِي
الطَّخَاءِ حِكْمَةً، أَوْ مَنْ أَظْهَرَ فِي الشُّهْبِ فِطْنَةً؟ ٣٧ مَنْ يُحْصِي
الْغُيُومَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ يَسْكُبُ أَرْفَاقَ السَّمَاوَاتِ، ٣٨ إِذْ يَنْسَبُ
الترَابُ سَبْكَاً وَيَتَلَاصِقُ الطِّينُ؟ ٣٩ «أَتَضْطَادُ لِلْبُؤَةِ فَرِيْسَةً، أَمْ
تُشْبِعُ نَفْسَ الْأَشْبَالِ، ٤٠ حِينَ تَرْبِضُ فِي عَرِينِهَا وَتَكْمُنُ فِي غَابَتِهَا
لِلْكَمُونِ؟ ٤١ مَنْ هَيَّئِ لِلْغُرَابِ صَيْدَهُ إِذْ تَنْعَبُ فِرَاحُهُ إِلَى اللَّهِ،
وَتَتَرَدَّدُ لِعَدَمِ الْقُوْتِ؟

هذه السلسلة من الأسئلة، جاءت لإظهار عظم جهالة أيوب،
ولإعلان أمجاد الخليقة التي أبدعها الله وكونها بقدره وحكمة.
وبإظهار الله حكمته وقدرته على الطبيعة والكائنات العاقلة وغير
العاقلة، يجيب على أسئلة أيوب المتعددة.

الأصحاح التاسع والثلاثون ١ «أَتَعْرِفُ وَقْتَ وِلَادَةِ وَعُولِ الصُّخُورِ،
أَوْ تَلَا حِظُّ مَخَاصِ الْأَيَائِلِ؟ ٢ أَتَحْسِبُ الشُّهُورَ الَّتِي تَكْمَلُهَا، أَوْ تَعْلَمُ مِيعَادَ
وِلَادَتَيْنِ؟ ٣ يَبْرُكُنَ وَيَضَعُنَ أَوْلَادَهُنَّ. يَدْفَعُنَ أَوْ جَاعَهُنَّ. ٤ تَبْلُغُ
أَوْلَادَهُنَّ. تَرْبُو فِي الْبَرِّيَّةِ. تَخْرُجُ وَلَا تَعُودُ إِلَيْهِنَّ. ٥ «مَنْ سَرَحَ الْفِرَاءَ
حُرًّا، وَمَنْ فَكَّ رُبُطَ حِمَارِ الْوَحْشِ؟ ٦ الَّذِي جَعَلَتْ الْبَرِّيَّةَ بَيْتَهُ وَالسَّبَاخَ
مَسْكَنَتَهُ. ٧ يَضْحَكُ عَلَى جُمُحُورِ الْقَرْيَةِ. لَا يَسْمَعُ زَجْرَ السَّائِقِ. ٨ دَائِرَةُ
الْجِبَالِ مَرْعَاهُ، وَعَلَى كُلِّ خُمْصَةٍ يُفْتَشُ. ٩ «أَيْرِضِي الثَّوْرَ الْوَحْشِيَّ أَنْ
يَخْدِمَكَ، أَمْ يَبِيتُ عِنْدَ مِعْلَفِكَ؟ ١٠ أَتَرْبِطُ الثَّوْرَ الْوَحْشِيَّ بِحَبْلِ إِلَى حَظِّ
الْمِحْرَاتِ أَمْ يُمَهِّدُ الْأَوْدِيَةَ وَرَاءَكَ؟ ١١ أَتَتَّقُ بِهِ لِأَنَّ قُوَّتَهُ عَظِيمَةٌ، أَوْ تَتْرَكُ
لَهُ تَعَبَكَ؟ ١٢ أَتَأْتِمُنُهُ أَنَّهُ يَأْتِي بِزُرْعِكَ وَيُجْمَعُ إِلَى بَيْدَرِكَ؟

نلاحظ أن هذا الخطاب لا يذكر شيئاً عن حزن أيوب على ما
فرط به لسانه. ولا يشير إلى المسألة، التي أفلقت ذهنه. ولا يقدم
رجاء بمستقبل تستقيم فيه كل الأمور. ولكن بالالتجاء إلى قوة
الله ترتسم في ذهن أيوب عناية الرب الساهرة. وكان القصد إفهام
أيوب مقدار ما في ترتيب الطبيعة وعملها من الأسرار. وإنه إن
كان أيوب لا يمكنه إيضاح ذلك، فكيف يمكنه أن يفهم أسرار
الحياة الأبدية؟

وقال كارليل: ليس من أمة، إلا وتأمّلت في هذا الكون

العجيب، تأملاً يصحبه شعور رهيب وجليل، بأنه يوجد كائن عظيم غير معروف قادر على كل شيء، كُلي الحكمة والفضيلة يسوس كل البشر، الذين فيه وكل ما لهم من المصالح. وليس من أمة أو فرد نسي ذلك، واستطاع أن يكون له شأن ما.

ونلاحظ أن هذه الآيات. تتضمن تبايناً بين الله والإنسان. فالإنسان مستعد لأن يقتل اللبوة غير مهتم بطعام أشبالها. أمّا الله، فيعتني بها وبأشبالها. فليتذكر أيوب، الذي سبق فاتّهم الله بالقسوة في معاملته إياه، مسلك الله مع الحيوانات المتوحشة. وكما يعتني الله بالحيوانات المهيبة الشديدة البأس والشرسة كاللبوة، هكذا يعتني بالغرباء المحسوب من الطيور الدنيئة.

٣٩: ١٣ «جَنَاحُ النَّعَامَةِ يُرْفَرُ. أَفَهُوَ مَنكَبٌ رَوْوفٌ، أَمْ رِيشٌ؟ ١٤ لِأَنَّهَا تَتْرُكُ بَيْضَهَا وَتَحْمِيهِ فِي التُّرَابِ، ١٥ وَتَنْسَى أَنَّ الرَّجُلَ تَضَعُطُهُ، أَوْ حَيَوَانَ الْبَرِّ يَدُوسُهُ! ١٦ تَقْسُو عَلَى أَوْلَادِهَا كَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا. بَاطِلٌ تَعْبَهَا بِلَا أَسْفٍ. ١٧ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْسَاهَا الْحِكْمَةَ وَمَهْ يَقْسِمُ لَهَا فَهَمًّا. ١٨ عِنْدَمَا تُحَوِّذُ نَفْسَهَا إِلَى الْعَلَاءِ تَضْحَكُ عَلَى الْفَرَسِ وَعَلَى رَاكِبِهِ.»

تعلو قامة النعام سبعة أقدام ولا يمكنها الطيران لأنّ جناحيها

صغيران بالنسبة لحجمها. وهي سريعة جداً. لا تلحقها سوابق الخيل. وهي تحضن بيضها أحياناً، وتتركه أحياناً أخرى حين يشتد الحر. فشاع أنّ النعامة جائرة الطبع، وقليلة المحبة لفراخها، وبلا حكمة. إنّ شأنها منسوب إلى أمر من الله، فالإنسان لا يعرف السبب الذي يبغيه عمل الله. إنه لا يستطيع، لأنّه لا يملك حكمة الخالق التي تحوى كل الكون.

٣٩: ١٩ «هَلْ أَنْتَ تُعْطِي الْفَرَسَ قُوَّتَهُ وَتَكْسُو عُنُقَهُ عُرْفًا؟ ٢٠ أَتَوْتِبُهُ كَجَرَادَةٍ؟ نَفْخُ مِنْخَرِهِ مُرْعَبٌ. ٢١ يَبْحَثُ فِي الْوَادِي وَيَقْفِزُ بِبَأْسٍ. يَخْرُجُ لِلِقَاءِ الْأَسْلِحَةِ. ٢٢ يَضْحَكُ عَلَى الْخَوْفِ وَلَا يَرْتَاعُ وَلَا يَرْجِعُ عَنِ السَّيْفِ. ٢٣ عَلَيْهِ تَصِلُ السَّهَامُ وَسِنَانُ الرَّمْحِ وَالْحَرْبَةِ. ٢٤ فِي وَتْبِهِ وَغَضَبِهِ يَلْتَهُمُ الْأَرْضَ وَلَا يُؤْمِنُ أَنَّهُ صَوْتُ الْبُوقِ. ٢٥ عِنْدَ نَفْخِ الْبُوقِ يَقُولُ: هَهُ! وَمَنْ بَعِيدٍ يَسْتَرَوْحُ الْقِتَالَ صِيَاحَ الْفُؤَادِ وَالْهَتَافِ.»

في هذه الآيات وصف لمنظر الفرس الجميل والمخيف وهو ذاهب إلى القتال، يقفز ببأس أي يثب أو يطفر بقوائمه، يلتهم الأرض، أي يخفر فيها ويثير غبارها. وهو دائماً مشتاق إلى خوض المعارك، حتى أنّه حين يسمع صوت البوق لا يقدر أن يصبر.

والرب سأل أيوب: هل أنت تعطي الفرس قوته؟

٣٩: ٢٦ «أَمِنْ فَهْمِكَ يَسْتَقِيلُ الْعُقَابُ وَيُنْشُرُ جَنَاحِيهِ نَحْوَ الْجُنُوبِ؟
٢٧ أَوْ بِأَمْرِكَ يُحَلِّقُ النَّسْرُ وَيُعَلِّي وَكْرَهُ؟ ٢٨ يَسْكُنُ الصَّخْرَ وَيَبِيْتُ
عَلَى سِنِّ الصَّخْرِ وَالْمَعْقَلِ . ٢٩ مِنْ هُنَاكَ يَتَحَسَّسُ قُوَّتَهُ . تُبْصِرُهُ
عَيْنَاهُ مِنْ بَعِيدٍ . ٣٠ فِرَاحُهُ تَحْسُو الدَّمَ وَحَيْثُمَا تَكُنِ الْقَتْلَى فَهَنَّاكَ
هُوَ» .

يمتاز العقاب والنسر بقوتهما في الطيران . ولهما إدراك غريزي بالطقس . حتى حين تأتي أيام البرد بهاجران نحو الجنوب . أمّا النسر فيمتاز عن غيره من الطيور بطيرانه وبعلو وكره وبحدة نظره وبشراسته في أكل اللحم والدم .

والفائدة لأيوب، هي أن الحيوانات غير الناطقة تعرف بالغريزة ما يلزمها، للحصول على قوتها وتربية صغارها . فكم بالحري الإنسان الذي له عقل ونفس وروح، يجب أن يعرف الله ويتكل عليه . وإن الله يعتني بالخلائق الدنيا . فكم بالحري يعتني بالإنسان وهو أعظم خلائقه!

كان أيوب يعيش في ظلمة الأوجاع والأحزان والشكوك . وقصد الرب أن يرفع نظره عن هذه، لينظر إلى أعمال الله

العظيمة، التي تُحدِّث بمجده وحكمته ومحبته. فبنوره يرى نوراً. ونلاحظ أن الله لم يعامل أيوب معاملة عبد، مسكناً إياه بأمر قاس، بل أوضح له الأمر بكلام مطول وبالصبر، لكي يفهم ويقتنع، ويسلم للرب عن طيبة خاطر، لا عن خوف وغضب.

الصلاة

أيها الرب الإله، القادر على كل شيء، أمام عظمتك نحني الركب، وأمام حكمتك الفائقة، نعترف بجهلنا. وأمام محبتك الواسعة الحلم يتزكى رجاؤنا. سألنا من أجل استعلائنا وشموخننا. إننا نذوب خجلاً من إهداءنا الفارغة. فاغفر لنا، واعطنا فرصة التوبة لنسكب قلوبنا قدامك بكل تواضع. آمين.

السؤال

٣٥ - ماذا كان على أيوب أن يفعل بعد هذا الحوار الطويل؟

الأصحاح الأربعون ١ وَقَالَ الرَّبُّ لِأَيُّوبَ: ٢ «هَلْ يُخَاصِمُ الْقَدِيرَ مُوَبِّخُهُ، أَمْ الْمُحَاجُّ اللَّهُ يُجَاوِبُهُ؟» ٣. فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ: ٤ «هَا أَنَا حَقِيرٌ، فَمَاذَا أُجَاوِبُكَ؟ وَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى فَمِي. ٥ مَرَّةً تَكَلَّمْتُ فَلَا أُجِيبُ، وَمَرَّتَيْنِ فَلَا أَزِيدُ».

عملت الكلمة الإلهية في أيوب، وحطمت اعتداده بنفسه.

لأنه بعد أن تلقى التفسيرات المؤثرة لعجائب الطبيعة، وما فيها من كائنات حية أو جامدة، وتأمل في الجمالات التي أسبغها الله على كل منها، والعناية التي خصها بها، انفتح ذهنه ليرى مجد الله، الذي صنع كل شيء بحكمة. وحينئذ تحوّل من خصم معاند إلى عابد وديع.

لقد سطعت رؤيا القدير في قلبه، فاستنار لبه، وعرف نفسه في ضوء وجه الله. ثم نظر إلى حياته في وضع الإيمان، الذي بدونه لا يمكن إرضاء الله. وما إن تأمّل في أعمال عناية الله، حتى شعر بخطيته، وتبكت ضميره. وفي مثل هذه الحال، يقلّ الكلام. لأنّ التائب توبة حقيقية لا يكثر الكلام. هكذا علّمنا الإنجيل في مثل العشار، الذي اقتصر كلامه على تضرّع قصير: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئُ» (لوقا ١٨: ١٣).

صحيح أن أيوب لم يتفوّه باعتراف صريح. ولكنه ما إن حوّل نظره عن برّه الذاتي، حتى رأى تفاهته أمام الله. ولم يلبث أن قال: «هَا أَنَا حَقِيرٌ، فَمَاذَا أَجَاوِبُكَ؟» إنه الآن يحمّد الله، ولا يجادله. نعم. إنّ ما عجزت كلمة الإنسان عنه في اقتياد أيوب إلى التوبة والتسليم لله، فهذا عملته كلمة الله. فقد أثرت في وجدانه. وحطمت تكبره. وأحدثت تحوّلاً كبيراً في موقفه. الأمر الذي

يؤكد لنا أنه حين تعجز حكمة الإنسان عن إيضاح سر الألم، فإن كلمة الله تثير فيه الإيمان بصلاح الله، في كل ما يسمح بوقوعه على الإنسان لأجل تهذيبه.

قال بولس الرسول: «لَأَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمَخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (عبرانيين ٤: ١٢)، بعكس الكلام الكثير، الذي تفوّه به أليفاز وبلدد وصوفر وأيهو، الذي لم يأت لأيوب لا باقتناع ولا بتعزية. وكذلك أجوبة أيوب، عجزت عن تفسير مشكلة الألم بالرغم من أفكاره العميقة. كما أنه بكل اجتهاده ومنطقه، لم يستطع إقناع أصحابه ببراءته. على العكس فقد أثارهم ضده، لأنّه بأقواله عوّج القضاء.

أمّا كلمة الله، فقد وضعت حداً لنزاع الألفاظ القاسية. وقد أحدثت هذا الأثر، لأنها أتت عن طريق رؤيا جديدة عن الله الحي. وجلّ ما في أمرها، أنها أقنعت أيوب بأنّه يستطيع أن يثق في إله كهذا. إله عنايته أكثر اهتماماً بالإنسان مما تصور أيوب!

٦: ٤٠ فَقَالَ الرَّبُّ لِأَيُوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ: ٧ «أَلَا نَسُدُّ حَقُوقَكَ كَرَجُلٍ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي. ٨ لَعَلَّكَ تَنَاقِضُ حُكْمِي. تَسْتَدْنِبُنِي لِتَتَبَرَّرَ أَنْتَ!»

٩ هَلْ لَكَ ذِرَاعٌ كَمَا لِلَّهِ، وَبِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِهِ تُرْعَدُ؟ ١٠ تَزِينِ الْآنَ
بِالْجَلَالِ وَالْعِزِّ، وَالْبَسِ الْمَجْدَ وَالْبَهَاءَ. ١١ فَرَّقْ فَيُضِرَّ غَضَبَكَ، وَأَنْظُرْ
كُلَّ مُتَعَطِّمٍ وَأَخْفِضْهُ. ١٢ أَنْظُرْ إِلَى كُلِّ مُتَعَطِّمٍ وَذَلِّلْهُ، وَدُسِّ
الْأَشْرَارَ فِي مَكَانِهِمْ. ١٣ أَطْمُرْهُمْ فِي التُّرَابِ مَعًا، وَأَحْبِسْ وُجُوهَهُمْ
فِي الظُّلَامِ. ١٤ فَأَنَا أَيْضًا أَحْمَدُكَ لِأَنَّ يَمِينَكَ تَخْلُصُكَ.

كَلَّمَ الرَّبُّ أَيُوبَ كَلَامًا، وَلَمْ يَسْكُتْ بِإِظْهَارِ عَظَمَتِهِ بِالرَّعْدِ
وَالزَّلْزَلَةِ، وَلَكِنَّهُ أَقْنَعَهُ بِالْكَلامِ. وَلَمْ تَكُنْ غَايَةَ كَلَامِ الرَّبِّ زِيَادَةً
ارْتَبَاكَ أَيُوبَ، وَإِقْنَاعَهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْهَمَ أَعْمَالَ اللَّهِ فِي الطَّبِيعَةِ.
بَلْ كَانَتْ غَايَتُهُ لَهُ الْمَجْدُ أَنْ يَعلَنَ ذَاتَهُ لِأَيُوبَ لِأَنَّ اللَّهَ نُورٌ، وَالنُّورُ
يَطْرُدُ الظُّلْمَةَ.

كَانَ أَيُوبُ قَدْ تَذَمَّرَ، وَنَسَبَ اللَّهُ ظُلْمًا. وَبِأَقْوَالِهِ حَكَمَ عَلَى اللَّهِ،
وَجَعَلَ نَفْسَهُ فِي مَكَانِهِ. لِهَذَا سَأَلَهُ اللَّهُ: أَلَعَلَّكَ تَنَاقَضَ حَكْمِي
الْعَادِلِ، لَكِي تَبَرَّرَ نَفْسَكَ؟ وَالوَاقِعُ أَنَّ أَيُوبَ اعْتَرَضَ عَلَى حَكْمِ
اللَّهِ، وَاللَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَثْبِتَ أَنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَحْكُمَ فِي الْكُونِ حَكْمًا أَفْضَلَ
مَنْ حَكَمَ اللَّهُ، وَإِذَا ذَاكَ يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ إِنَّهُ قَادِرٌ كَاللَّهِ! هَذِهِ
الْعِبَارَاتُ الْإِلَهِيَّةُ وَضَعَتْ أَيُوبَ فِي دَائِرَةِ النُّورِ، فَتَوَاضَعَ أَمَامَ جَلَالِ
اللَّهِ، مَتَنَازِلًا عَنِ بَرِّهِ الذَّاتِي، وَمَعْطِيًا الْمَجْدَ لِلَّهِ.

صَحِيحٌ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجِبْ عَلَى الْمَشْكَلاتِ، الَّتِي كَانَتْ فِي عَقْلِ

أيوب، ولكِنَّه شفى جراحات نفسه، ووضع في قلبه فكر التسليم الكامل للمشيئة الإلهية. ومع أن أيوب كان بعيداً عن عهد الصليب، إلا أن كلمة الله التي جعلت منه عبداً، لم تكن عاجزة عن أن ترسم له الجلجثة بالألام.

هل تتصرف مثل أيوب في البداية فتستذنب الله لتبرّر نفسك، أم تعترف بخطاياك لكي يبرّك الله؟ تعلم المثل من داود حين قال: «قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذُنُوبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أُنْثَامَ خَطِيئَتِي» (مزمور ٣٢: ٥).

الصلاة

نحمدك ونهلل لك أيها الرب القدير، لأن كلمتك ما زالت تعمل في القلوب. تستأصل منها محبة الإثم، وتزرع فيها محبة البر والفرح والسلام. اجعل كلمتك أن تعمل في قلوبنا، لكي تردنا إليك في توبة شاملة، ولك الشكر يا إلهنا. آمين.

السؤال

٣٦ - كيف عملت الكلمة الإلهية في أيوب؟

٤٠: ١٥ «هُوَ ذَا بَهِيمُوثُ الَّذِي صَنَعْتَهُ مَعَكَ. يَأْكُلُ الْعُشْبَ مِثْلَ الْبَقْرِ. ١٦ هَا هِيَ قُوَّتُهُ فِي مَتْنِيهِ وَشِدَّتُهُ فِي عَظْلِ بَطْنِهِ. ١٧ يَخْفِضُ

ذَنبَهُ كَأَرْزَةٍ . عُرُوقٌ فَخَذِيهِ مَضْفُورَةٌ . ١٨ عِظَامُهُ أَنَابِيْبٌ نَحَاسٍ ،
وَأَضْلَاعُهُ حَدِيدٌ مُطْرَقٌ . ١٩ هُوَ أَوَّلُ أَعْمَالِ اللَّهِ . الَّذِي صَنَعَهُ
أَعْطَاهُ سَيْفَهُ . ٢٠ لِأَنَّ الْجِبَالَ تُخْرَجُ لَهُ مَرْعَى وَجَمِيعَ وَحُوشِ الْبَرِّ
تَلْعَبُ هُنَاكَ . ٢١ تَحْتَ السُّدْرَاتِ يَضْطَجِعُ فِي سِتْرِ الْقَصَبِ
وَالْغَمَقَةِ . ٢٢ تُظَلِّلُهُ السُّدْرَاتُ بِظِلِّهَا . يُحِيطُ بِهِ صَفْصَافُ
السَّوَاقِي . ٢٣ هُوَذَا اللَّهْرُ يَفِيضُ فَلَا يَفِرُّ هُوَ . يَطْمَئِنُّ وَلَوْ أَنْدَفَقَ
الْأُرْدُنُّ فِي فَمِهِ . ٢٤ هَلْ يُؤْخَذُ مِنْ أَمَامِهِ؟ هَلْ يُثَقَّبُ أَنْفُهُ بِخِرَامَةٍ؟

هيموث جمع هيممة في العبرية. ولما كان الجمع في الإصطلاح
العبري، يشير إلى التعظيم، يكون معنى هيموث (هيممة عظيمة)
وقد رجح بعض المفسرين أنَّ الحيوان المقصود هنا هو فرس الماء،
الذي يعيش بقرب الأنهر الكبيرة، وخصوصاً في إفريقيا. وطول
هذا الحيوان نحو خمسة عشر قدماً. وارتفاعه سبعة أقدام. وقوائمه
قصيرة، ورأسه كبير. ويبلغ طول أنيابه القدمين أحياناً. وهذا
الحيوان. لا يأكل إلا النباتات. وقد جاء في النص أنه أول
مخلوقات الله من الحيوانات من جهة الكبر والقوة. ومع ذلك فهذا
الحيوان الضخم القوي في متنه وفي عضل بطنه وعروق فخذيه،
والمتمسِّح بأنياب كبيرة حادة، لم يحاول التزعم على الحيوانات
الأخرى. فكم بالحري أيوب الإنسان الضعيف غير مؤهل للسيادة

على النظام الأدبي، الذي وضعه الله. والذي يحدد الموقف، الواجب أن يتّخذه الإنسان أمام خالقه؟!

الأصحاح الحادي والأربعون ١ «أَتَضْطَادُ التَّمْسَاحَ بِشِصٍّ، أَوْ تَضْغَطُ لِسَانَهُ بِحَبْلِ؟ ٢ أَتَضْعُ أَسْلَةً فِي خَطْمِهِ، أَمْ تَتَّقِبُ فَكَّهُ بِخِرَامَةٍ؟ ٣ أَكَيْثُرُ التَّضَرُّعَاتِ إِلَيْكَ، أَمْ يَتَكَلَّمُ مَعَكَ بِاللِّينِ؟ ٤ هَلْ يَقْطَعُ مَعَكَ عَهْدًا فَتَتَّخِذُهُ عَبْدًا مُؤَبَّدًا؟ ٥ أَتَلْعَبُ مَعَهُ كَالْعُضْفُورِ، أَوْ تَرْبِطُهُ لِأَجْلِ فَتِيَاتِكَ؟ ٦ هَلْ تَحْفَرُ جَمَاعَةُ الصَّيَّادِينَ لِأَجْلِهِ حُفْرَةً، أَوْ يَفْسِمُونَهُ بَيْنَ الْكِنَعَانِيِّينَ؟ ٧ أَمْتَمًا جِلْدُهُ حِرَابًا وَرَأْسُهُ بِالْأَلِ السَّمَكِ؟ ٨ ضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ. لَا تَعُدْ تَذَكُرُ الْقِتَالَ! ٩ هُوَذَا الرَّجَاءُ بِهِ كَاذِبٌ. أَلَا يَكْبُ أَيضًا بِرُؤْيَيْتِهِ. ١٠ لَيْسَ مِنْ شُجَاعٍ يُوقِظُهُ فَمَنْ يَقِفُ إِذَا بَوَّجِهِي؟ ١١ مَنْ تَقَدَّمَ نِي فَأَوْفِيهِ؟ مَا تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ هُوَ لِي .

لويثان كلمة عبرانية، ومعناها الملتوي أو الملتفت. والكلمة المترجمة «تنين» ولكن أكثر المفسرين اتفقوا على أن المشار إليه هو التمساح المشهور بالقوّة والشراسة. وكان سؤال الرب الموجه إلى أيوب: هل تقدر أن تنظر إلى التمساح نظرة الصياد إلى السمكة، فيصيدها بالشص؟ أو هل تنظر إليه نظرة المروض الخيول إلى الحصان فتحاول لجمه بحبل لإذلاله؟ أو تنظر إليه نظرة الإعرابي

إلى الجمل، فتضع خزامه في خطمه (أنفه) لكي تقوده إلى حيث تشاء؟ هل تستطيع ترويضه، وجعله وسيلة لتسلية الفتيات في بيتك؟

كل هذه الأسئلة طُرحت في لهجة التهكم، لأنه يستحيل على الإنسان أن يخضع التمساح أو يذللّه بأيّ من هذه الوسائل . فإن كان أحد الخلائق، أشد هولا من أن يُهاجم أو يُشمخ عليه، فماذا ينبغي أن يُقال عن العليّ ساكن الأبد، الذي خلق كل الأشياء بكلمة قدرته؟

وخلاصة القول: إنَّ الله شاء أن يبيّن لأيوب غلظه في التشامخ . ووضع أمامه شيئين مقررّين بهيئة حيوانين قويين . السؤال: هل يقدر أيوب أن يتسلّط عليهما؟ وإلا فكيف يدخل في المحاكمة مع خالق هذين المخلوقين القويين؟ وبكلمة أخرى، إنَّ وصف قدرة الله وسلطانه العجيب، يقصد به أن يجعل في عقل أيوب شعوراً لازماً بأنّه لا شيء أمام جلال الله . وهذه هي النتيجة التي حصلت . لأنّه لما رأى أيوب حكمة الله وقوّته في العالم المخلوق، اعتقد بأنّ معاملة الله له في أمره مبنيّة على حكمة فائقة، فأشرق عليه أخيراً النور، ورأى الحق فقبله .

٤١: ١٢ «لَا أَسْكُتُ عَنْ أَعْضَائِهِ وَخَبَرَ قُوَّتِهِ وَهَجَعَهُ عُدَّتِهِ. ١٣ مَنْ يَكْشِفُ وَجْهَ لِبْسِهِ وَمَنْ يَدْنُو مِنْ مَنَى لِحْمَتِهِ؟ ١٤ مَنْ يَفْتَحُ مِصْرَاعِي فَمِهِ؟ دَائِرَةُ أَسْنَانِهِ مُرْعَبَةٌ. ١٥ فَخْرُهُ مَجَانٌّ مَانِعَةٌ مُحْكَمَةٌ مَضْغُوطَةٌ بِخَاتِمٍ. ١٦ الْوَاحِدُ يَمَسُّ الْآخَرَ، فَالرِّيْحُ لَا تَدْخُلُ بَيْنَهَا. ١٧ كُلُّ مَنْهَا مُلْتَصِقٌ بِصَاحِبِهِ مُتَجَمِّدَةٌ لَا تَنْفِصِلُ. ١٨ عِطَاسُهُ يَبْعَثُ نُورًا، وَعَيْنَاهُ كَهُدْبِ الصُّبْحِ. ١٩ مِنْ فَمِهِ تَخْرُجُ مَصَابِيحٌ. شَرَارُ نَارٍ تَتَطَايَرُ مِنْهُ. ٢٠ مِنْ مَنْخَرِيهِ يَخْرُجُ دُخَانٌ كَأَنَّهُ مِنْ قَدْرِ مَنْفُوخٍ أَوْ مِنْ مِرْجَلٍ. ٢١ نَفْسُهُ يُشْعَلُ جَمْرًا وَهَيْبٌ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ.

من هنا بدأ بوصف التماسح بالتفصيل : من يكشف ثوبه الخارجي؟! ومن يدخل بين فكّيه؟! وقيل عن التماسح إنّه يتنفّس ويمسك نفسه حتى ينتفخ، فيغطس في الماء. ثم يطلع ويخرج نفسه من منخريه مع الماء، فيظهر بالشمس كنور ومصابيح وشرار نار ودخان. وفي الكتابات المصرية القديمة، أنّ عيني التماسح كناية عن الصبح.

٤١: ٢٢ فِي عُنُقِهِ تَبَيَّتْ الْقُوَّةُ وَأَمَامَهُ يَدُوسُ أَهْلُولٌ. ٢٣ مَطَاوِي لِحْمِهِ مُتَلَاصِقَةٌ مَسْبُوكَةٌ عَلَيْهِ لَا تَتَحَرَّكُ. ٢٤ قَلْبُهُ صُلْبٌ كَالْحَجَرِ وَقَاسٍ كَالرَّحَى. ٢٥ عِنْدَ نَهْوِضِهِ تَفْزَعُ الْأَقْوِيَاءُ. مِنْ الْمَخَافِيفِ يَتِيهُونَ. ٢٦

سَيْفٌ الَّذِي يَلْحَقُهُ لَا يَقُومُ، وَلَا رُمْحٌ وَلَا حَرَبَةٌ وَلَا دِرْعٌ.

هذه الآيات تصف حركات فزع الخلائق الأخرى . عندما يظهر التمساح، يدهشون ويتيهون، لاضطراب أفكارهم من الخوف . ويتحيرون من الذعر . وإذا حاول أحدهم التصدي له بالأسلحة القديمة، فإن هذه الأسلحة لا تؤثر فيه بسبب سماكة وقساوة جلده .

٤١: ٢٧ يَحْسِبُ الْحَدِيدَ كَالْتُّبْنِ وَالنَّحَاسَ كَالْعُودِ النَّخِرِ . ٢٨ لَا يَسْتَفِيزُهُ نُبْلُ الْقَوْسِ . حِجَارَةُ الْمِقْلَاعِ تَرْجِعُ عَنْهُ كَالْقَشِّ . ٢٩ يَحْسِبُ الْمِطْرَقَةَ كَقَشٍّ وَيَضْحَكُ عَلَى اهْتِرَازِ الرُّمْحِ . ٣٠ تَحْتَهُ قُطْعٌ خَزَفٍ حَادَّةٌ . يُمَدِّدُ نَوْجًا عَلَى الطِّينِ . ٣١ يَجْعَلُ الْعُمُقَ يَغْلِي كَالْقَدْرِ، وَيَجْعَلُ الْبَحْرَ كَقَدْرِ عِطَارَةٍ . ٣٢ يُضِيءُ السَّبِيلَ وَرَاءَهُ فَيَحْسِبُ اللَّجَّ أَشْيَبَ . ٣٣ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَرْضِ نَظِيرٌ . صُنِعَ لِعَدَمِ الْخَوْفِ . ٣٤ يُشْرِفُ عَلَى كُلِّ مُتَعَالٍ . هُوَ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ بَنِي الْكِبْرِيَاءِ .»

هذه الآيات انتهى كلام الرب . وفي كلامه لم يوضح لأيوب وأصحابه الأمور التي أفلقتمهم . ولعل ذلك للأسباب التالية:

١ - كونهم لا يقدرّون أن يفهموا هذه الأمور مهما سمعوا من الإيضاح عنها، كما أنّ الفيلسوف لا يقدر أن يوضح لولد

صغير القضايا الهندسية .

- ٢ - التعليم على مراحل، ولكل واحدة وقتها المعين . فأعلن الله للقدماء بعض قضايا روحية، وأبقى غيرها لجيل آخر . فالتعليم عن القيامة والحياة بعد الموت، ومجازاة الصالحين والأشرار في الآخرة، والفداء وعمل الروح القدس ورد في العهد الجديد، بعد تجسد المسيح في ملء الزمان .
- ٣ - بسبب عدم وجود الكتاب المقدس وقتئذ، أوضح الله للقدماء قدرته وحكمته ومحَبَّته لكل خلائقه من كتاب الطبيعة .

الصلاة

أها الرب العلي الساكن الأبد، نعظم اسمك ونعطي المجد لجلالك . نتوسل إليك أن تعفو عن أفكارنا المتعالية، وأن تفتح أعيننا لكي نرى حقارتنا أمام عظمتك الإلهية . آمين .

السؤال

- ٣٧- ما هو هيموث؟ وما هو لويathan؟
- ٣٨- بآية لهجة طرحت هذه الأسئلة على أيوب ولماذا؟

الأصحاح الثاني والأربعون ١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ: ٢ «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ. ٣ فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي

الْقَضَاءِ بِلَا مَعْرِفَةٍ! وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ . بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ
 أَعْرِفُهَا . ٤ اِسْمَعِ الْآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ . اَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمْنِي . ٥ بِسَمْعِ الْأُذُنِ
 قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ ، وَالْآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي . ٦ لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ
 وَالرَّمَادِ» .

أخيراً خضع أيوب لكلمة الرب، واعترف بجهله، وأقرّ بآرائه
 الخاطئة، وبصلاح الله في أحكامه ومخططاته لأجل الإنسان . وتعلّم أنّ
 الله يستطيع أن يفعل كل شيء، وأنّ مقاصده تتم في حينها . وسلّم بأنّه
 هو نفسه قد أظلم القضاء، وتكلّم بكلمات لم يفهمها، ويطلب الآن أن
 يسمع له وأن يعلم . فقد عرف الآن قيمة عجزه عن اكتشاف السبب
 الحقيقي لمعاملة الله له هكذا . والآن يخضع باتّضاع لحكمة الله . فينتقل
 إلى دائرة النور والرجاء . لقد اكتشف أنّ معرفته الأولى عن الله والتي
 عبّر عنها في الأصحاحين ١٢ و ١٣، كانت ناقصة . وأخيراً اكتسب
 معرفة أعمق وأصدق . ورؤية الله لنفسه، هي الآن كنور النهار الباهر
 لمن يخرج من كهف مظلم . لقد أصبح في عالم جديد، حيث كل شيء
 يحيا ويتحرّك ويوجد في الله . وقد زال من قلبه الشك بالله والصعوبة في
 الاعتراف بعدله . ولم يعد يحتاج بعد . لأنّه رأى الله وخضع له . وإيمانه
 بمعاملة الله الكلي الحكمة معه صارت ثابتة ومقررة . لقد جثت نفسه
 بخجل الندامة على شكوكها وسخافتها، صامتة صمت الشكر

والعبادة أمام رب الكل . بمعنى أنه تحقق في ضوء نور الله أن كل شكوكه كانت سخيفة، والآن يسترد كلماته التي فاه بها بتسرّع وبدون تأمل .

٤٢ : ٧ وَكَانَ بَعْدَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لِأَلِيفَازَ التِّيمَانِيِّ: «قَدْ أَحْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلَا صَاحِبَيْكَ، لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ . ٨ وَالآنَ فَخُذُوا لِأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَأَذْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً لِأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ لِأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِيَلَّا أَضْعَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حِمَاقَتِكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ . ٩ فَذَهَبَ أَلِيفَازُ التِّيمَانِيُّ وَبَلَدَدُ الشُّوْحِيِّ وَصَوَفَرَ النِّعْمَاتِيَّ وَفَعَلُوا كَمَا قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ . وَرَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ .

تعطي هذه الأعداد صورة جميلة جداً للعلامات الروحية لاستحسان الله لما صارت إليه حال أيوب . هذه الدلالات الروحية لها أهمية بالغة بالنسبة لوضع أيوب الجديد مع الله :

- ١ - أشار الله إلى أيوب بكلمة عبدي أربع مرات .
- ٢ - امتدح الله أيوب من أجل بحثه عن الحق بإخلاص . بينما لام الأوصحاب على اعتراضهم على هذا البحث .

٣ - أكرمه الله، حين أمر الأصحاب أن يسألوه لكي يصلّي من أجلهم .

٤٢: ١٠ وَرَدَّ الرَّبُّ سَبِيَّ أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لِأَجْلِ أَصْحَابِهِ، وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لِأَيُّوبَ ضِعْفًا. ١١ فَجَاءَ إِلَيْهِ كُلُّ إِخْوَتِهِ وَكُلُّ إِخْوَاتِهِ وَكُلُّ مَعَارِفِهِ مِنْ قَبْلُ وَأَكَلُوا مَعَهُ خُبْزًا فِي بَيْتِهِ، وَرَثُوا لَهُ وَعَزَّوهُ عَنْ كُلِّ الشَّرِّ الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ قَسِيطةً وَاحِدَةً، وَكُلُّ وَاحِدٍ قُرْطًا مِنْ ذَهَبٍ. ١٢ وَبَارَكَ الرَّبُّ آخِرَةَ أَيُّوبَ أَكْثَرَ مِنْ أَوْلَادِهِ. وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْعِغَمِ، وَسِتَّةُ أَلْفٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَلْفُ زَوْجٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَأَلْفُ أَتَانٍ. ١٣ وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ. ١٤ وَسَمَّى أَسْمَ الْأُولَى يَمِيمَةَ، وَأَسْمَ الثَّانِيَةَ قَصِيعةً، وَأَسْمَ الثَّلَاثَةَ قَرْنَ هَفُوكَ. ١٥ وَلَمْ تُوجَدْ نِسَاءٌ جَمِيلَاتٌ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ. وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ. ١٦ وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هَذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ. ١٧ ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَسَبْعَانَ أَيَّامًا.

عندما تنتقل من بركات أيوب الروحية إلى الزمنية، تدهشنا هذه الملاحظة، إنه عندما صلى أيوب من أجل الآخرين، ردّ الرب إليه بركاته المادية. بمعنى أنّه عندما ركز انتباهه في طلب البركات الروحية للآخرين زيدت له كل الأمور الأخرى. هذه الحقيقة

توقفنا أمام كلمة المسيح: «لَكِنْ أَطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكَوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ» (متى ٦: ٣٣).

نتعلم من هذا المثل أننا بصلواتنا وخدمتنا الآخرين ننال أحسن البركات لأنفسنا. وأن الذين لا يقتنعون بنصائحنا لسلوكهم في الحق، يقتنعون بصلواتنا من أجلهم. وقد عُرف بالاختبار أن الصلاة أحسن رد على الاعتراضات، وأفضل حل للمشاكل.

ومن البركات الزمنية التي أُغدقت على أيوب، رجوع إخوته وأخواته إليه بعدما كانوا قد ابتعدوا عنه في زمن ضيقه، كما يبتعد الناس عن كل فقير ومُصاب. ورجع أيضاً إليه معارفه وأصدقاؤه القدامى، ورجعت إليه ثروته. وأُعطي من الله بنين وبنات وعمراً مديداً.

الصلاة

باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته، الذي يغفر جميع ذنوبك. الذي يشفي كل أمراضك. الذي يفدي من الحفرة حياتك. الذي يكللك بالرحمة والرفقة، الذي يشبع بالخير عمرك. فيتجدد مثل النسر شبابك. آمين.

السؤال

٣٩ - ماذا كانت نتيجة كلمة الرب لأيوب؟

٤٠ - كيف كانت نهاية أيوب؟

مسابقة سفر أيوب

أهـا القارئ العزيز

إن تعمّقت في دراسة هذا الكتاب تقدر أن تجاوب على ٢٥ سؤالاً من هذه الأسئلة . وتقديراً لاشتراكك نرسل لك أحد كتبنا كجائزة . لا تنسَ أن تكتب اسمك وعنوانك كاملين عند إرسال إجابتك إلينا .

- ١ - ما هي الصفات التي وُصف بها رجل الله أيوب؟
- ٢ - ما هي الحجة التي اعتمدها الشيطان في التقليل من فضل أيوب؟
- ٣ - ما هي المصائب التي سمح الله أن تقع على أيوب؟
- ٤ - بماذا أُصيب أيوب، وكيف كان موقفه من المصاب الذي وقع عليه شخصياً؟
- ٥ - ماذا قال أيوب في ثورته، وما تمنى؟
- ٦ - ماذا قال أيوب في القسم الثالث من خطابه؟
- ٧ - ما هو سبب كآبته؟
- ٨ - ما هي نتيجة تأديب الرب؟
- ٩ - ما هو قصد أليفاز من عتابه لأيوب؟
- ١٠ - لماذا كان أيوب في حاجة إلى تحذير صديقه أليفاز؟

- ١١ - بَمَ أشار أليفاز على أيوب أن يفعل؟
- ١٢ - لماذا كانت كلمات أليفاز خالية من العطف؟
- ١٣ - ماذا كان موقف الأصحاب من مصاب أيوب، وكيف حسبوه؟
- ١٤ - ماذا كانت نتيجة كلام أيوب عن بلاياه وتظلمه الدائم من أوجاعه؟
- ١٥ - بَمَ شبه بلدد بيت الفاجر؟
- ١٦ - ما هي خلاصة تعليم القدماء التي أشار إليها بلدد؟
- ١٧ - ما هي الرؤى التي كانت لدى أيوب؟
- ١٨ - بمن تَمَّت هذه الرؤى وكيف؟
- ١٩ - ماذا كانت نتيجة تأمل أيوب في حالته الخاصة؟
- ٢٠ - ماذا صنع صوفر قبل أن ينهي خطابه؟
- ٢١ - ما المشكلة بين أيوب وأصحابه؟
- ٢٢ - أيّ موقف اتخذه أيوب تجاه أصدقائه؟
- ٢٣ - بَمَ بدأ أيوب الأصحاب الثالث عشر؟
- ٢٤ - ماذا تصوّر أيوب من جهة الله؟
- ٢٥ - ماذا كان تأثير اتّهام بلدد لأيوب بارتكاب الشر؟
- ٢٦ - كيف قدّر أيوب الحكمة وماذا قال فيها؟

- ٢٧- ما هي النصيحة الموجهة للشابات والشباب وهم يواجهون العديد من النظريات التي لها صفة العلم؟
- ٢٨- اذكر بعضاً من الامتيازات التي كانت لأيوب وكانت سبب سعادته
- ٢٩- ما هو التحوّل الذي حدث بالنسبة لمركز أيوب في المجتمع؟
- ٣٠- كيف كانت معاملة أيوب لعبيده؟
- ٣١- ما هي أهم وظيفة لخطابات أليهو؟
- ٣٢- بمّ استهلّ أليهو خطابه لأيوب؟
- ٣٣- ما هو وجه الخلاف بين أيوب وأليهو؟
- ٣٤- ماذا في مناقشة أيوب؟
- ٣٥- ماذا كان على أيوب أن يفعل بعد هذا الحوار الطويل؟
- ٣٦- كيف عملت الكلمة الإلهية في أيوب؟
- ٣٧- ما هو بهيموث؟ وما هو لويثان؟
- ٣٨- بأيّة لهجة طُرحت هذه الأسئلة على أيوب ولماذا؟
- ٣٩- ماذا كانت نتيجة كلمة الرب لأيوب؟
- ٤٠- كيف كانت نهاية أيوب؟

شواهد الكتاب المقدس

١٤٧	١١-١:٤١	١٧	١٠-١:٢	
١٤٩	٢١-١٢:٤١	٢٢	١٣-١١:٢	تثنية
١٤٩	٢٦-٢٢:٤١	١٠٥	٨-١:٣٠	١١٥ ٥-٢:١٧
١٥٠	٣٤-٢٧:٤١	١٠٧	٢٤-١٦:٣٠	أستير
١٥١	٦-١:٤٢	١٠٩	٣١-٢٥:٣٠	٨١ ١٦:٤
١٥٤	١٧-١٠:٤٢	١٠٦	١٥-٩:٣٠	أيوب
١٥٣	٩-٧:٤٢	١١٠	١٢-١:٣١	٦٥ ٧-١:١٠
٣٥	٢١-١٢:٤	١١٤	٢٣-١٣:٣١	٦٨ ٢٢-١٨:١٠
٣٨	٧-١:٥	١١٤	٣٤-٢٤:٣١	٦٦ ١٧-٨:١٠
٤٠	٢٧-١٧:٥	١١٦	٤٠-٣٥:٣١	٧٠ ١٢-١:١١
٣٩	١٦-٨:٥	١١٧	٥-١:٣٢	٧٢ ٢٠-١٣:١١
٤٣	٧-١:٦	١٢٠	٢٢-١٦:٣٢	٧٤ ٦-١:١٢
٤٧	٢٣-١٤:٦	١١٨	١٥-٦:٣٢	٧٧ ٢٥-١٣:١٢
٤٩	٣٠-٢٤:٦	١٢١	٧-١:٣٣	٧٦ ١٢-٧:١٢
٤٥	١٣-٨:٦	١٢٣	٢٣-١٣:٣٣	٧٨ ١٢-١:١٣
٥١	١٠-١:٧	١٢٥	٢٨-٢٤:٣٣	٨٠ ١٩-١٣:١٣
٥٣	٢١:١١:٧	١٢٧	٣٣-٢٩:٣٣	٨١ ٢٨-٢٠:١٣
٥٥	٧-١:٨	١٢٢	١٢-٨:٣٣	٨٣ ٦-١:١٤
٥٨	٢٢-٢٠:٨	١٢٨	٨-١:٣٥	٨٦ ١٧-١٣:١٤
٥٧	١٩-٨:٨	١٣٠	١٦-٩:٣٥	٨٧ ٢٢-١٨:١٤
٦٠	١٠-١:٩	١٣٢	١١-١:٣٨	٨٤ ١٢-٧:١٤
٦١	٢٠-١١:٩	١٣٤	٢٠-١٢:٣٨	٨٨ ٢٢-٢١:١٩
٦٣	٣١-٢١:٩	١٣٥	٤١-٢١:٣٨	٩٠ ٢٩-٢٣:١٩
٦٤	٣٥-٣٢:٩	١٣٧	١٢-١:٣٩	٣٠ ١١-١:١
		١٣٨	١٨-١٣:٣٩	١٣ ٢٢-١٣:١
		١٣٩	٢٥-١٩:٣٩	٩٢ ١١-١:٢١
	مزامير	١٤٠	٣٠-٢٦:٣٩	٩٤ ١٩-١٢:٢٨
١٢٧	١٣-٨:١٠٣	٢٣	١٧-١:٣	٩٦ ٢٢-٢٠:٢٨
١١	٣ و ٢:١٤	٢٦	٢٦-١٨:٣	٩٧ ٢٨-٢٣:٢٨
١٢٦	١:٣٢	١٤١	٥-١:٤٠	١٠٠ ١١-١:٢٩
١٤٥	٥:٣٢	١٤٥	٢٤-١٥:٤٠	١٠٢ ١٧-١٢:٢٩
٤٦	٧ و ٦:٣٤	١٤٣	١٤-٦:٤٠	١٠٣ ٢٥-١٨:٢٩
٣٩	٢ و ١:٣٧			

غلاطية	لوقا	١٣١ ٧:٣٧
١١٣ ٢٨ و ٢٧:٣	٥٩ ٣:١٣	١٢٩ ٢٦-٢٣:٧٣
أفسس	يوحنا	٢٨ ١٢-٣:٨٨
١٢ ١٠:٢	٨٦ ٢٥:١١	١٣٠-١٢٩ ٤:٨
فيلبي	٣٦ ٨:١٦	٣٧ ١٢:٩٠
٢٦ ٢٣:١	١١ ١٦:٣	أمثال
٣٦ ٩:٣	٨٦ ٢٥:٥	٤٨ ١٧:١٧
عبرانيين	٤٠ ٤٠:٥	١١٢ ٢٩-٢٧:٦
٣٣ ٦:١٢	١١ ٣٧:٧	إشعياء
٦٩ ١١-٦:١٢	رومية	٦١ ١٨:١
١٤٣ ١٢:٤	٩٩ ٢٢:١	٢٨ ١٩-١٦:٣٨
يعقوب	٥٠ ١٢:٣	٥٩ ٦:٤٢ , ١٣:٤١
٣٣ ٤-٢:١	١١٦, ١١ ٢٣:٣	١١ ٦:٥٣
٩٥, ٣٧, ٢١ ٥:١	٧٣ ٥-٣:٥	١٢٧ ١٠:٦١
٩٦ ١٨-١٧:٣	٥٨ ٢٤:٨	حزقيال
١ بطرس	١٧ ٢٨:٨	١٢٧ ١١:٣٣
٢٩ ٣:١ و ٤	٨١ ٣٣:٨	متى
٤٢ ١٣ و ١٢:٤	١ كورنثوس	٩٨ ٢٥:١١
١ يوحنا	٨٥ ٤٤-٤٢:١٥	١١٥ ٢٤:٦
١٩ ١٨:٥	٢ كورنثوس	١٥٥ ٣٣:٦
	٤١ ١٧:٤	٩٦, ٤٢ ٧:٧
	٦٥ ٢:٦	٨٩ ١٣ و ١٢:٩